أوتـــار الفـــن

القاهرة وأم كلثوم على خشبة مسرح لندن

هيمنت أجواء قاهرية على منطقة هامستيد الراقية، فقد خرجت من مسرح «نيوفيتر» أصوات أم كلثوم وألحان محمد عبد الوهاب وأغانى وردة فى عرض مسرحى، عاد إلى قاهر الستينيات وعالم السبعينيات، وتحدث عن واقع الحياة القاهرية عن «جروبى» والجاليات التى كانت تعيش فى مصر واندمجت فيها.

ومصر لديها خاصية بارزة هى استيعاب الآخرين وهضم ثقافاتهم والهيمنة على حياتهم بهذه القوة التى يترجمها التاريخ، وأرمن مصر ينطبق عليهم هذا الحال، فقد جاءت جاليات كبيرة إلى مصر بعد بداية القرن الماضى وعاشت فى القاهرة وأحياء الوطن واندمجت فى النهر الثقافى العريق، وأصبحت هذه الجالية مصرية من أصل أرمينى ونبغ منها العديد فى الفن والموسيقى والفنون التشكيلية.

والمؤكد أن دور الجالية الأرمنية المصرية يحتاج إلى دراسات لإبراز الإضافة والتأثير معًا، وبصمات الحياة المصرية التى نمَّت التفاهم والاتصال وكونت هذا الإفراز الشديد الوهج فى الجيل الذى ولد على أرض مصر وشرب من النيل وعاش على ضفافه.

وقد ترجمت فنانة مصرية من أصل أرمنى هذا الشعور بالانتماء والهوية، وبعد رحلة طويلة فى مدن الحضارة والفنون تكتشف أن مصر هى الأصل، ومكان الولادة منحها هذه الخصوصية وشجعها على الترحال واكتساب المعارف، والوصول عبر رحلة طويلة إلى حقيقة ثابتة أن الانتماء هو لعالم الجذور، حيث شبت الطفولة وأينعت ملامح الشباب.

وقد حملت نورا أرمانى هذا الإرث من ذكريات عن مصر والقاهرة وقدمت عرضًا على المسرح يمتاز بالحيوية البالغة والصدق المتدفق والرواية الدرامية التى تتواصل فى تعدد الأشكال والوجوه والأصوات عبر أداء ممثل واحد على المسرح طوال الوقت، ولا يشعر بأن الملل يتسلل إلى المشاهد.

واختارت نورا أرمانى أسلوب الممثل الواحد فى عرض مونودراما من بداية المشهد الأول حتى الأخير، وترحل فى أكثر من ساعة مع محطات فى مصر، لندن، الولايات المتحدة، باريس، فقد عاشت فى هذه الأماكن وتأثرت بها وخرجت من مصر نهاية السبعينيات بعد دراسة فى الجامعة الأمريكية وقد اختبرت الحياة وحلت فى عالم الأضواء العالمية، فقد مثلت فى أفلام فرنسية وأمريكية ووقفت أمام محمد صبحى على المسرح فى القاهرة فى مسرحية «ملك

سيام» وشاركت فى أعمال فنية متنوعة.

وعندما تجلس مع نورا أرمانى لا تشعر بأنها أرمنية بسبب الانتماء إلى هذا الجذر، ولا يتسلل إليك الشعور بأنها خارج مصر منذ نهاية السبعينيات وتذهب إلى عواصم الدنيا وتصاحب قوافل الفن فى السينما والمسرح عندما تحاور الممثلة الشابة تدرك على الفور أنها مصرية صميمة وتنتمى إلى أحياء القاهرة من إيقاع صوتها وتعبير ملامحها وسمات أفكارها، ويتدفق الدم المصرى فى ترجمة الشعور وتشعر بأنك تعرف نورا أرمانى مع أن هذه المرة هى الأولى التى تلتقى بها.

ويؤكد اللقاء عبقرية كيمياء الشعوب عندما تلتقى عناصرها فيتألق نهر العشرة التاريخية والتواصل القديم.

ونورا أرمانى معجونة بمادة الفن ووهج التمثيل وهى تتحدث بصراحة شديدة وتلقائية مدهشة ويتدفق الكلام على لسانها عن مصر بعاطفة جياشة وذكريات تحلق فى سماء الواقع، ورغم رحلة العمل والبقاء بين لندن وباريس فإن الفنانة مسكونة بأيام القاهرة، وهى مثلنا جميعًا يعشش فيها الحلم وشريط الذكريات، وكلما بعدت القاهرة نظرنا إليها من نافذة حية تعانق شوارع وأيام الطفولة والصبا.

وتتحدث نورا أرمانى بتدفق يعكس ذاكرة نشيطة وحية عن قصة العائلة التى جاءت إلى مصر بالصدفة فى عام ١٩١٤ مع الحرب العالمية الأولى واستقرار هذا الوفد القادم من تركيا وينتمى إلى أرمينيا وقد وجدت الأسرة فى مصر الإقامة والاستقرار والنمو والحياة التى تنوعت فى شرايين البلاد، وكانت منذ البداية تحب الفن وتركت كلية الطب من أجل دراسته فى الجامعة الأمريكية، وعندما تركت القاهرة كانت مثلها مثل أجيال هذا الوقت تتطلع إلى الشهرة العالمية والنجاح على المسرح وفى السينما وحققت الكثير فى هذا المشوار، والممثلة تترجم رحلتها فى عرضها المسرحى، حيث كتبت النص وهو يدخل فى أدب السيرة الذاتية المسرح ببعد درامى يعطى الإشارة والوهج والانتقال من فقرة لأخرى وتجسيد محطات الرحلة من القاهرة إلى لندن، وحتى الولايات المتحدة وكندا ومنتريال.

والنص مكتوب بلغة درامية جذابة، ونورا أرمانى لا تمثل وإنما تعيش محطات من الحياة حولتها إلى خشبة المسرح. ومن أصعب الأمور الدرامية تحويل فقرات الحياة إلى عمل على خشبة المسرح، إذ «الدراما»، تحتاج إلى وهج الممثل ومزج التلقائية بالاحتراف.

وقد نقلت أرمانى أجواء القاهرة إلى لندن فى عرض متدفق بالمياه الدافئة والمشاعر الحية، وما أجمل أن تعرف الذات حياتها من خلال رحلة المكان، والانتقال فى عواصم صاخبة واكتشاف أن المشاعر تدور حول مكان الولادة ورؤية مصر، التى مازالت قابعة فى قلب الروح.

وتمنحك «نورا» هذا الصدق وتشعر بأن القلب يخفق والدموع على أبواب الانهمار عندما تتحدث عن شريط الذكريات عن عبد الحليم حافظ وأم كلثوم وفريد الأطرش.

وعلى المسرح، كانت قطعة من الحيوية الدرامية فى اتصال مستمر بالدخول فى شخصية والخروج منها بأداء مقنع ومثير يربط المشاهد بالأحداث وبالرحلة التى تتحدث عنها نورا أرمانى، والمسرحية هى «سيرة ذاتية» فى إطار الدراما المسرحية. واعتمدت على بلاغة النص، الذى كتبه ممثل بهذه الموهبة المتدفقة.

وقد كتبت نورا أرمانى مسرحيتها من رؤية ذاتية، أشارت إلى تعدد الجاليات فى القاهرة القديمة وبدء فكرة الرحيل والخروج إلى أرض العالم، لكنها تلمس هذا الوتر الحقيقى بأن الخروج لم ينه العلاقة مع مصر على الإطلاق بل العكس نمت هذه الرابطة بشكل أعمق مع الأيام وهى تشعر الآن بأن مصريتها غالبة على الأصول الأرمينية والرحلة فى عواصم الغرب والإقامة فى أوربا. إن هناك «الانتماء» والاتصال مع القطرة الأولى من الحياة، وعندما تجلس مع أرمانى تتحدث بصراحة عن إعادة الاكتشاف، حيث ترى نفسها «مصرية» وجذورها الأرمينية مجرد انتساب إلى رحلة العائلة، وعندما ذهبت إلى «أرمينيا» لم تشعر بالانتماء إلى المكان، أما القاهرة فهى بداية رحلة الحياة والأصدقاء والأغانى وعطر الشباب ونسيم الحب.

وعندما ترى أرمانى تمثل تشعر على الفور بهذا الصدق البالغ فى الحركة والتلقائية والعفوية مع سرد درامى مدهش يدخل القلب مباشرة.

و«عرض على الديوان» هو توهج مسرحى بلغة الفن، يحكى قصة إنسانة تريد إشراك العالم معها عبر وهج الكلمات وأسلوب الدراما، وقد ترك العرض بصمات واضحة وجعل البريطانيين يعودون إلى «الحلم المصرى» من خلال قصة هذه الأرمينية الجميلة التى تنتمى بالوفاء إلى مصر والتى شربت من ماء النيل ورسم ملامحها بهذه الصفات والروح والتدفق والعذوبة البالغة القادمة من عبق مصر.

وقصة نورا أرمانى هى لحن جميل على أوتار سيمفونية مصر التى تعددت فيها النغمات والجمل الموسيقية إلا أن نهر الإبداع يربط كل هذه الأجزاء فى وحدة واحدة.

وعرض نورا أرمانى يملك قدرة التجدد والدعوة له واستضافته لأنه ينبض بالحياة والدراما، ويأخذ من مصر قيمة شمسها الدافئة ومن النيل هذا الانسياب الجميل والعطاء المتدفق.

أوتار الفن فى
غناء شرقى أصيل بجامعة لندن

جاءت فرقة عبد الحليم نويرة إلى بريطانيا لإحياء أمسيات رمضانية بالعاصمة لندن وفى قلب مدينة كمبريدج الأكاديمية والعلمية فى رسالة من مصر تنقل ريح الشرق وعبق التراث ونسيم الفن الجميل، وحقق دعوة الفرقة تأكيد دور الفن الصادق فى تعميق جسور المودة الحضارية ومصر دائمًا أرض الغناء والفن والحضارات وتقاليد التراث المنفتح على روح الأمة وأفكارها فقد اعتاد المصريون خلال شهر رمضان الاستماع إلى أمسيات الفن الجميل فى اتصال مع فقرات الإبداع والجمال والانطلاق فى ساحات النغم.

وخلال الفترة السابقة اعتاد المكتب الثقافى المصرى بالعاصمة البريطانية دعوة الفرق الموسيقية والشعبية لإحياء ليالى رمضان بلندن وتنظيم اللقاءات الفنية التى تعكس صورة مصر والانفتاح والتراث المتجدد على أرضها.. وتضم الحياة المصرية عشرات الفرق التى ترعاها وزارة الثقافة وقطاع الموسيقى والتراث الشعبى واستضافة هذه الفرق يؤكد وجه مصر الحضارى والناهض دائمًا على قاعدة القوى والآداب والموسيقى، وقد احتضنت مصر على مر القرون أنواع وأشكال الفن الغنائى، وأثمرت جهود التطوير فى رسم صورة متطورة للتخت الشرقى والمحافظة على تراثه وتطويره.

وقدمت فرقة نويره الأنغام العربية الأصيلة من خلال المدارس المصرية فى الأداء والتلحين والإبداع والموسيقى وجاء العازفون بشكل التخت الشرقى وعناصره الرئيسية من عود وآلة القانون مع الناى والكمان والإيقاع وغناء المطرب الشاب خالد عبد الغفار، الذى قدم عدة وصلات وطقاطيق غنائية تطوف بعالم الأغنية الفردى البديع من أول كارم محمود وحتى عبد الحليم حافظ.

وتولى د. قدرى مصطفى سرور شرح الآلات الموسيقية والتعريف بها لجمهور متنوع حضر بقاعة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، وقد حضر السفير المصرى عادل الجزار والمستشارة الثقافية د.ودودة بدران والتى انتهت مدة عملها بلندن بعد فترة ثرية من العطاء والعمل المتواصل فى تحويل المكتب الثقافى إلى منطقة إشعاع حقيقى يحمل تراث مصر ورسالتها ودورها التنويرى المتميز فى عناق الفنون والآداب والدفاع عن مهمتها.

وأشار د. قدرى مصطفى سرور إلى الفرقة وتاريخها والدور الذى قام به الموسيقار الراحل

عبد الحليم نويرة فى تأسيس الفرقة ورعايتها ووضع الأسس العلمية لأدائها.

وكانت الفرقة بدأت رحلتها بالعزف بالمكتب الثقافى المصرى واللقاء الثانى تم بجامعة لندن والثالث فى مدينة كمبريدج الأكاديمية ومعقل الدراسات العلمية والحضارية ببريطانيا.

فى سهرة جامعة لندن قدَّم الفرقة وتحدث عنها الدكتور محمد عبد الحليم رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية حيث أشار إلى ليالى رمضان بالقاهرة والقرى المصرية حيث تتم دائمًا لقاءات وأمسيات السهر بعد تناول إفطار رمضان وتظل البيوت والمقاهى وقاعات الفن تختص بالشهر الكريم من خلال أداء المقطوعات الموسيقية والألحان الشعبية والتراثية والمدائح النبوية الدينية.

بدأت الفرقة بعزف مقطوعة من ألحان محمد القصبجى سيد الموسيقى العربية ومن أساتذة المحافظة على قواعدها وأصولها الجميلة، والقصبجى مطور مهم للموسيقى الشرقية، فقام بدور بارز للغاية فى المحافظة على شكل التخت مع تحقيق نقلة نوعية فى قضية التوزيع والاستعانة بالآلات الجديدة.

فقد واكب جهوده فى التطوير مع بروز صوت أم كلثوم، ولعل أفضل أعماله قاطبة لها كان لحن «رق الحبيب» وكان العمل الأول لأداء الفرقة لحنًا جميلا لرياض السنباطى بأسلوبه المعروف وتطوره الرصين للشكل الموسيقى الشرقى فى محافظة على أسلوبه ونهجه، ومن السنباطى والقصبجى إلى فريد الأطرش دفعة واحدة بالوقوف على قطعته الجميلة «توتة» وقد تخيلت سامية جمال وهى ترقص على إيقاعات الفن البديع لموسيقار حساس للغاية اعتمد على نبض القلب فى صوغ ألحانه وتجسيدها على خشبة المسرح الموسيقى وكانت مبادرة جميلة عزف قطعة الأطرش تقديرًا لفنه ودوره الموسيقى، وقد اعتاد النقاد إغفال ما صنعه فى تطوير الموسيقى الشرقية وهو رائد بحق عبر هذا التراث الفريد والهائل من الألحان والأغانى. وعبرت الفرقة المصرية عن تقديرها البالغ لموسيقار ملهم بالعطاء والألحان العديدة التى نقلت الأغنية واللحن الشرقى إلى مكانة بارزة للغاية.

واختارت فرقة عبد الحليم نويره لحن محمد عبد الوهاب البديع «النى» الذى يعبر عن هذا المزج الشديد بين آلات تراثية وأخرى جديدة فى حوار الإيقاع مع الكمان فى معزوفة فريدة غابت كثيرًا وعادت فى الآونة الأخيرة وجاء الانتقال إلى اللحن الشعبى والمركب والبسيط فى آن معًا، يعكس ما قام به محمد عبد الوهاب فى تطوير الموسيقى الشرقية وتحقيق لغة الإمتاع والانفتاح على مدارس أخرى ويظل الموسيقار المصرى الراحل المجدد الأول فى ثبات، والاعتماد على علوم الأوائل فى عالم النغم وهو بحق رائد التحديث بلغة العصر، ومعادلة عبد الوهاب تنبع فى التعامل مع قضايا أخرى وهى استناد التجديد على الأصول والتراث وعيب الموسيقى

الشبابية، تلك القفزة الماثلة بعيدًا عن عالم الموسيقى الشرقية التى تطورت على أيدى أساتذة عظام من أول السنباطى حتى بليغ حمدى، مرورًا بمرحلة الموجى والطويل خلال مجموعته الذهبية التى تألقت فى صعود عالم الفن المصرى الأصيل مع عبد الحليم حافظ، شادية، فايزة أحمد، ونجاة ووردة.

لقد أعطت موسيقى الديسكو العربية الحديث ظهرها لتراث عظيم واتجهت نحو الغناء الشعبى الأوربى تنهل منه أدوات التوزيع وآلات العزف مع الاستناد على نغمة الإيقاعات الصاخبة والمدوية. فرقة عبد الحليم نويره جاءت إلى بريطانيا برسالة الموسيقى الشرقية الأصيلة وأداء الألحان المتميزة وعزف آلات هى شكل نواة التخت الذى يعكس تراثًا عربيًا أصيلاً بدأ مع الدولة العباسية وانتشار الموسيقى وعانى هذا التراث من تأثيرات الحقبة التركية، حتى جاء سيد درويش بعطاء مدرسة مصرية أصيلة وضعت أصول النهضة التى تبلورت مع سلسلة من الأسماء اللامعة مثل الشيخ زكريا أحمد وجهده فى التطوير الشرقى الأصيل، وقد اختارت الفرقة لحنًا له مع تقاسيم على آلات العود، الدُّف، القانون، الكمان والناى.

وجاءت الفقرة الثانية بالغناء وصوت رقيق للمطرب خالد عبد الغفار الذى اختار عدة «طقاطيق» غنائية لمطربين وملحنين، وشكل الأداء رحلة جميلة داخل مدارس الغناء المصرى من سيد درويش وحتى الشيخ سيد مكاوى.

أدى خالد عبد الغفار أغنية للمطرب كارم محمود الذى كان يؤدى اللحن الشعبى الجميل بكلمات عذبة تحافظ على رونق اللغة وصورة الأداء والتعبير.

وأغنية «سمرا» لكارم محمود من أعذب أعماله لأنها تعتمد على كلمات جميلة تحافظ على مستوى الغزل دون السقوط فى أوصاف حسية، وكانت الأغنية الشعبية رائجة فى الحياة المصرية ونجومها على قلب عرش الأغنية والموسيقى، وعبر كارم محمود مع محمد قنديل ومحمد عبد المطلب وعبد العزيز محمود عن أغنية شعبية متدفقة بالصور الدالة على قيم مصرية وعلى قاموس غنائى متميز بالألحان المتدفقة والحيوية، واختار خالد عبد الغفار عدة قطع تمثل نمو وتطور الأغنية المصرية عبر مراحلها الطويلة حتى الوصول إلى مدرسة عبد الحليم حافظ التى كانت نقلة مهمة للغاية فى إثراء الألحان العاطفية والرومانسية التى تتحدث عن لغة مختلفة لقاموس الأغانى الشعبية التى كانت رائجة قبل صعود عبد الحليم حافظ.

وقد جرب عبد الحليم اللون الشعبى بعد نجاح موجة محمد رشدى والأبنودى الشاعر وبليغ حمدى الملحن لهذا اللون الذى برز خلال حقبة الستينيات لكن أغنية «على حسب وداد قلبى» تختلف عن أغنية كارم محمود «سمرا» فى الصور الزجلية الأخيرة واختلاف عالم الأبنودى

الذى لم يتعامل مع الحارة المصرية وإنما ذهب إلى الصعيد وقرى مصر يدفع بعالم جديد كان يطرح نفسه على الحياة الثقافية المصرية فى هذه الفترة الذهبية للغناء والتأليف وصراع مدارس الألحان المختلفة، لقد تصارع ملحنون على رأسهم محمد عبد الوهاب لإنتاج أغنية جميلة معبرة وتقوم فرقة عبد الحليم نويرة مع فرق أخرى بالمحافظة على هذا الإرث وتقديمه للناس فى أبهى صور الفن الجميل.

وقد استمتعت للغاية بأداء هذه الفرقة فى شكل نواة التخت الشرقى ومجموعة محدودة من العازفين تذكرنى بموسيقى الحجرة فى عالم الموسيقى الغربية الكلاسيكية.

والموسيقى الشرقية لديها تراثها العظيم فى سنوات طويلة من الإبداع والتجديد. وتعد مدرسة سيد درويش المعطف الذى خرجت منه جميع الألوان الأخرى التى تألقت بعد ذلك وفتحت أبواب التغيير والتعبير، ولعل محمد عبد الوهاب هو الأكثر انشغالاً بفكرة التجديد، وقد صنع نهضة متميزة للأغنية العربية، غير أن ذكر محمد عبد الوهاب لا يغفل دور القصبجى وما قام به من نقلة نوعية هائلة رافقت تنمية مدرسة الغناء فى عهد أم كلثوم التى وضعت كلمة النهاية على حقبة منيرة المهدية حتى جاءت مرحلة اللقاء مع محمد عبد الوهاب الذى عبر بها إلى عصر كامل مختلف، دشنه بأغنيته البديعة «أنت عمرى» وسيظل هذا اللحن دلالة على موافقة سيدة الطرب الشرقى على ركوب طائرة عبد الوهاب النفاثة وعبور بحر النغم الكلاسيكى القديم والاستقرار على مرفأ التجديد الجارف بكل معانيه، وأتذكر كيف أن أم كلثوم العملاقة ظلت تسمع لمقدمة «أنت عمرى» الموسيقية الذى طالب الجمهور بإعادة عزفها لأكثر من مرة، وأدركت الفنانة العظيمة أنها دخلت عصر عبد الوهاب، وهى التى ظلت لسنوات طويلة تعاند وترفض هذه المغامرة التى تقدم لوناً مختلفًا عن الأداء الكلثومى الكلاسيكى الذى حافظ عليه السنباطى أكثر من غيره. حتى بليغ حمدى الشاب وهو يقدم «حب إيه» احتفظ بسمات مدرسة أم كلثوم ورفض الخروج عليها كما فعل محمد عبد الوهاب.

لقد أعادت فرقة عبد الحليم نويرة بعزفها ببريطانيا زخم ألحان شرقية بكل تألقها البديع من خلال نهر الإبداع الموسيقى وإضافات مدرسة مصرية عريقة يقف على عرشها مجموعة من الملحنين والمطربين ومجموعة من العازفين تعبر عن علم وفن وأداء الموهبة والدراسة.

والفن ينعش القلوب ويجدد ألحان العقول وكانت سهرات بريطانيا فى صحبة فرقة موسيقية مصرية هى عبق الأصالة ومعادلة التجديد الذهبية التى تترجم جوهر الحياة.

تكريم الكاتب المسرحى المصرى ألفريد فرج

أعلن «ستوديو الممثل» فى المملكة المتحدة تكريم مجموعة من الفنانين والكتاب العرب يعيشون فى بريطانيا وانتقلت أعمالهم إلى خشبة المهجر العربى فى الخارج، وجاءت هذه المبادرة ضمن الاحتفال بيوم المسرح العالمى وتقديم مساهمات لمسرحيين عرب قاموا بجهد بالغ فى إثراء الحياة الثقافية وبناء جسر مع الحركة المسرحية العالمية اعتمادًا على نصوص منطلقة من الواقع المحلى العربى وخصوصية القضايا المرتبطة به سواء فى عمق الحياة أو فى قلب التاريخ.

ودعا «ستوديو الممثل» فى المملكة المتحدة إلى تكريم المسرحى المصرى المعروف الكاتب ألفريد فرج الذى قدم خلال مسيرة طويلة من الكتابة المسرحية عشرات الأعمال البارزة التى انطلقت إلى جوف التاريخ تارة، ومرة إلى حكايات ألف ليلة ثم التعامل مع الواقع الاجتماعى ومناقشته من محاور مسرحية كما جرى فى «زواج على ورقة طلاق».

ويقف خلف ألفريد فرج هذا الإرث الطويل من عمل مسرحى عالج قضية اللغة والشكل فى استخدام تجارب جديدة مثلما حدث فى نصه البالغ الأهمية «النار والزيتون» الذى اعتمد على دراما المسرح التسجيلى أو اعتماد الوثائق ولغة السينما فى طريق البناء الدرامى الذى تأثر بالموجة التى سادت المسرح العالمى مع تجارب بيتر فايس والأعمال الأخرى التى انطلقت فى هذا المجال.

ولدى ألفريد أعماله التى استوحت مناخ خطيات ألف ليلة فى «على جناح التبريزى وتابعه قفة».

وكان الفنان قد اهتم بحكاية «سليمان الحلبى» الذى جاء من الشام لاغتيال كليبر الذى حضر إلى مصر مع حملة نابليون فقدّم الكاتب المسرحى حبكته على محاور التراجيديا فى إبعاد الصراع الداخلى فى قلب الشخصية التى تمسك بزمام الموقف الدرامى كله.

وجاءت مبادرة تكريم ألفريد فرج فى قائمة الكوفة ضمت تكريم مبدعين عرب آخرين على ساحة الحياة البريطانية يقومون بأداء الحوار الفنى خلال مساهمات بالغة التأثير فى محاور الفعل المسرحى والعمل السينمائى، ويمثل المخرج أنور قوادرى مع الممثل المسرحى على فوزى دائرة التكريم فى سهرة قاعة الكوفة التى دعت إليها مجموعة «ستوديو الممثل» وسيتم فى أمسية تكريم ألفريد فرج الكاتب وأنور قوادرى المخرج وعلى فوزى الممثل.. وتأكيد المساهمة

العربية فى حوار الثقافات وأن العالم العربى لديه حركة مسرحية وأجيال مختلفة نمت فى حضن الطموح الذى رافق أجيالاً من المبدعين والأدباء والفنانين.

وتقوم مجموعة «ستوديو الممثل» بجهد بالغ خلال سنوات طويلة للإبقاء على شعلة الإبداع العربى مضيئة فوق خشبة المسرح.. وتختار المجموعة كل موسم بعض النصوص الأجنبية أو العربية لتقديمها من خلال أجيال متعددة لممثلين وحركة إبداع تصب فى الساحة الفنية العربية.

وتقف خلف هذا الإبداع المخرجة العراقية روناك شوقى التى تحافظ على زخم «ستوديو الممثل» بثقافة عريضة مطلعة على تيارات الفعل المسرحى وثقافته. وكان آخر عرض قدمته الفرقة وشاهدته هو مسرحية «شهر زاد» التى تألقت فيها مجموعة موهوبة من الفنانين وعلى رأسهم فاتن العمرى المحبة للمسرح والفن، وتعطى روحها الجميلة لعمل يحمل اسم العرب والعناق مع المسرح واللقاء الحميم للغاية مع فن التمثيل.

وقد شهدت أداء فاتن العمرى فى أكثر من نص وخلال أعمال «ستوديو الممثل» ودائمًا أقتنع بقدراتها الهائلة، وأن حماسها يعطى دفعة موحية للمسرحيات التى تشارك فيها. وقد تألق فى مسرحية «شهر زاد» أيضًا الممثل العراقى «عدنان علوان» وهو طاقة من الشعور والإحساس البالغ بأعماق النص الذى يؤديه.

وقد استطاعت روناك شوقى تجميع هذه المجموعة من المحبين لفن المسرح وربطهم بنصوص عالمية وعربية من أول جارسيا لوركا الإسبانى حتى أعمال تراثية موجودة فى قلب الثقافة العربية القديمة.

ودائمًا تحرك أعمال هذه الفرقة الإحساس الشديد بالقيمة الثقافية للسعى وأنه يناقش قضية مهمة تتعلق بحرية الرأى والحقوق الإنسانية وكراهية الديكتاتورية.

وقد تمكنت «روناك شوقى» خلال إخراج وإعداد مسرحية «شهر زاد» من تحويل القصة الشهيرة عن الحب وذكاء المرأة إلى عمل فيه رائحة المعاصرة والاشتباك مع قضايا الحرية والدفاع عن حق الاختيار ورفض العبودية حى ولو كانت فى قفص من ذهب.

وتعبر روناك شوقى عن فهم جيد للغة المسرح، فهى دارسة للدراما وقواعدها لكنها فى الوقت نفسه ليست من أنصار الفن للفن، إذ تعتقد برسالة المسرح ودوره.

وقد اختار «ستوديو الممثل» تكريم ألفريد فرج وهو الذى مزج بين المتعة الفنية والالتزام بالقضية وسار على خطى توفيق الحكيم الذى حقق فى مسرحة عامل «الفرجة والفكر»، كما قال الناقد الراحل على الراعى مدافعًا عن مسرح صاحب «أهل الكهف»، و«شهر زاد».

وقد نفى على الراعى أن مسرح الحكيم ذهنى يدور داخل العقل ولا يصلح لغير القراءة.

واستعان بأعماله التى تمثل قمة الذهنية المسرحية وتؤكد عناصر الفرجة ووجودها فى قلب هذه النصوص التى يعتبرها البعض جامدة ولا تصلح للعرض المسرحى.

وقد خاض عدة مخرجين بعض التجارب لتحويل «شهر زاد» و«أهل الكهف» لأعمال يقبل عليها الجمهور ويتابعها بشغف ومتعة حقيقية.

ومسرح ألفريد فرج هو الموجة القوية التى جاءت بعد أعمال توفيق الحكيم الذى مهد المسرح لجيل نعمان عاشور، سعد الدين وهبة، يوسف إدريس، وبعد ذلك محمود دياب وميخائيل رومان.

ويعتمد مسرح «صاحب سليمان الحلبى» على مهارة الحرفة الفنية واختيار قضايا تلمس الحوار الدائر فى الواقع مع ارتداء أقنعة التاريخ مرة والعودة إلى الأسلوب التسجيلى مرة أخرى ثم التوجه نحو ملف الحياة الاجتماعية وإطار الكوميديا كما فعل فى نصه «عطوة أبو مطوة».

ويعبر اتجاه مجموعة «ستوديو الممثل» دائمًا عن خيارات الفن والفكر فى عالم المسرح وطافت العروض المختلفة بنصوص من أمريكا اللاتينية وإسبانيا، وتعود الفرقة هذا الموسم إلى فرنسا وإلى خادمات جان جنيه فى محاولات جديدة هى تقديم النص بلغة إنجليزية وعبر ممثلين عرب وخلال إخراج روناك شوقى ،ومن المؤكد أن التجربة مثيرة للغاية وهى طرح النص الفرنسى بقراءة إنجليزية بصوت عربى وإيقاع يشتد إلى هذه الثقافة حتى ولو نطقت بالإنجليزية من خلال مجموعة ستوديو عربى لتأكيد قدرة تواصل الثقافات، وليست هناك الحدود الفاصلة التى تمنع التفاعل مع نص فرنسى وتقديمه عبر مجموعة من الممثلين والشبان العرب.

والتجربة تستحق المشاهدة فى لندن خلال أسبوع كامل وعلى مسرح كوكبت بالقرب من شارع ادجور رود بلندن.

وعرض الخادمات لجان جنيه بالإنجليزية إلى جمهور عريض يعطى إشارات عن حوار ممكن مع الثقافات والموضوعات مما يؤكد أن الوعى الإنسانى مشترك وما تحدث عنه الكاتب الفرنسى يصلح لتناوله عبر مجموعة من المثقفين العرب وممثلين من جيل الشبان خلال أسماء «رونا دانييل، مدى عبد الرحمن وشهلا كركونى».

وخلال حفل تكريم ألفريد فرج بمناسبة يوم المسرح العالمى مع مبدعين عرب فى مجال الإخراج والتمثيل تقدم فرقة «ستوديو الممثل» بعض اللقطات المسرحية لعدة مشاهد تمثيل عدنان علوان ، سلوى الجراح ، فاتن العمرى، زياد عدوان وآخرين وقد تابعت هذه الفرقة النبيلة المحبة لفن المسرح والمصرة على رفع لواء التمثيل والتعبير الدامى بوجود مسرح عربى

فى لندن ، وقد حاولت تجارب من قبل إنشاء هذا المسرح وتلاشت بسبب صعوبة المهمة، وعدم وجود الدعم وغياب المؤسسات التى ترعى هذا النشاط، وقد نجحت مجموعة "ستوديو الممثل فى تحدى جميع الصعوبات واستمرت بطاقة الحب للفن والعطاء لفكرة وجود هذا الشكل من الإبداع والذى يجمع أجيال شابة مع أخرى درست المسرح ووجدت أنه الوسيلة القادرة على المحافظة على طاقة الإبداع والتعبير عن الرأى واسم العرب وربطه بالثقافة مع إصرار دعاية فى صحف «التابلويد» على لصق شخصية العالم العربى بكل ما هو ضد الثقافة والحضارة..

وهذا الجهد من «ستوديو الممثل» يرفع رأس العرب مع وجود طاقة هائلة تصر على الإبداع فى أزمنة الحرب والديكتاتورية وكراهية الفن وربطه بالمحرمات.

وتستحق روناك شوقى مع فاتن العمرى، وجميع مجموعة «ستوديو الممثل» المساندة والدعم على هذا الإصرار الجميل لجعل كلمة الفن أعلى من راية التعصب والانغلاق.

عودة إلى أيام الفن المصرى

أتاحت عطلة أعياد الميلاد فى بريطانيا فرصة أخرى لمشاهدة عشرات الأفلام المصرية القديمة فى مرحلة العصر الذهبى للسينما المصرية، التى كانت متقدمة بمقاييس العصر، وصادقة فى عرض تطورات الحياة الاجتماعية وانتقالها من مرحلة لأخرى.. وقد تعودنا فى فترات مبكرة من حياتنا الهجوم على هذه السينما واتهامها بالسقوط فى لجة الأفكار التافهة والقضايا السطحية واهتمامها بأسلوب الميلودراما على حساب قواعد الفن والتعبير.

وعندما أعيد مشاهدة إنتاج أفلام السينما المصرية فى عصرها الذهبى أشعر بأن الجيل الذى بدأ الكتابة السينمائية فى حقبة الستينيات ظلم هذا الإنجاز الضخم وتعالى عليه، وكلما أعيد مشاهدة أفلام حسن الإمام، أدرك أنه كان علامة بارزة فى طريق السينما المصرية عبر العشرات من الأفلام الجميلة والمتحركة بقوة التعبير وإتقان أساليب الحرفة والاطلاع على الآداب العالمية.

وتعيش جميع محطات التلفزيون العربية الأرضية منها والفضائية على إنتاج ضخم للسينما المصرية، تناول جميع الموضوعات والقضايا بأسلوب جميل وجذاب ومدهش للغاية فى الاعتماد على طريقة الإقناع والسيطرة على متفرج بحكاية يتولى المؤلف مع المخرج تعقيدها ثم القيام بحلها بسهولة بالغة تريح المتفرج وتجلب له السعادة والاسترخاء.

وأذكر أن أول مقال كتبته عن السينما المصرية نشره لى الكاتب الراحل والصحفى عبد الله إمام فى صحيفة العمال التى كانت تصدر بالقاهرة ويتولى رئاسة تحريرها، وكانت الصفحة الثقافية والفنية يشرف عليها الكاتب المسرحى لينين الرملى، وعمل بهذه الصحيفة نخبة من الكتاب والمحررين، وقد تعرفت خلال الاحتكاك بالمجموعة على الكاتب الراحل سيد خميس، الذى غيبه الموت خلال الآونة الأخيرة فقد ظلت علاقتى به مستمرة بعد عودته من دمشق حيث ظل بها نحو عشر سنوات كاملة. واعتدت رؤية خميس بالقاهرة خلال معرض الكتاب وكان وراء إصدار كتابى الأخير العقل والسلفية والحرية ونشر الناقد والكاتب الراحل بعض الكتب المهمة فى مجالات التراث والشعر والسجال الفكرى والسياسى، المقال الذى نشرته صحيفة العمال فى نهاية حقبة الستينيات كان يتناول ظاهرة نهائيات الأفلام المصرية حيث إنها دائمًا سعيدة بينما الواقع غير سعيد على الإطلاق.

وبعد هذه السنوات، وإعادة مشاهدة الأفلام القديمة أدرك أن موضوع النهاية كان يرتبط

بنسيج القصة ورغبة صناع الفيلم فى خروج المتفرج سعيدًا مهما كان الثمن ولعبت هذه النهايات العائلية على تحويل أفلام السينما لوسيلة امتصاص الاكتئاب والملل والشعور بالضجر والغضب فى واقع الحياة اليومى.

وعندما تحولت الأفلام إلى الحياة المعقدة والاستغراق فى قصص البشاعة اليومية كف الناس عن الذهاب إلى السينما خصوصًا بعد أن تحولت دور العرض إلى حالة متردية نتيجة الإهمال البالغ فى ظل إدارة القطاع العام لها، وقد ذهبت منذ أعوام إلى سينما كايرو فوجدتها فى حالة يائسة بعد أن كانت جوهرة من الإبداع المعمارى الجميل مع نظافة بالغة وكل شىء فيها يكشف عن جمال ورقى حضارى، وعندما دخلت هذه الدار السينمائية للمرة الأولى سحرنى المستوى البديع والأناقة البالغة وكان الذهاب إلى دور السينما فى وسط البلد الانتقال من واقع إلى آخر، يعنى العبور من أحياء فقيرة متخلفة إلى المستوى الأوربى الكامل وكانت فى شارع الألفى سينما صيفية تم هدمها اسمها تات جيمس لا تزال فى قلب الذاكرة بجمالها وأناقتها والمستوى الراق المدهش لحالة من إبداع حقيقى يعكس مستوى قلب مدينة القاهرة فى هذه المرحلة.

وكان الذهاب لمشاهدة فيلم جديد رحلة ممتعة للغاية وراحة جميلة مع طبيعة الأفلام الخلابة التى تبحر فى عالم الرومانسية والغناء والمناظر الخلابة المدهشة مما كان يعطى الأمل فى غد آخر أكثر إشراقًا وجمالاً وقد تعودت الذهاب إلى السينما فى أحياء السيدة زينب وشبرا وكانت دور العرض فى هذه المناطق نظيفة وتتمتع بعناية ورقابة وتسمح بمشاهدة للفيلم فى أجواء مثالية، تقترب من حجم المناظر على الشاشة. وعندما اكتشفت قاعات وسط البلد هجرت تمامًا الذهاب إلى الدور السينمائية الموجودة فى الأحياء، وعندما أزور القاهرة أبكى على أحوال دور العرض التى كانت تضاهى تلك الموجودة فى العواصم الأوربية.. وأذكر جمال وأناقة سينما «راديو» فى عصرها الذهبى كذلك سينما «ريتس» وقصر النيل وريفولى خلال الستينيات.

وتعيد مشاهدة عدة أفلام مصرية قديمة إلى التأمل فى الأحوال المصرية، وما أصاب القاهرة القديمة من تدهور وإهمال نتيجة عوامل اقتصادية وإعادة تلوين الطبقات الاجتماعية وحركتها وبروز فئات جديدة غادرت موقع القلب من العاصمة، واتجهت إلى الأطراف فى مشروع توسعها الجديدة وقد لاحظت أن مناطق التجمعات الجديدة تخلو من وجود دور السينما بالشكل الذى حدث مع بقاء منطقة عماد الدين وسليمان باشا وشارع فؤاد القديم.

لقد اهتم المصمم القديم بوجود رئة ترفيهية لحاجات السكان الثقافية والحضارية والإنسانية، واستند هذا الفهم إلى أن الإنسان يحتاج للذهاب إلى دور السينما والمسرح

والجلوس بالمقاهى وتناول الطعام بالمطاعم المتنوعة ولعل هذا الصمم أعطى الحياة بعض أدوات التنفس الاجتماعى والثقافى.

وتفتقر المدن والأحياء الجديدة إلى هذه النظرية مع غياب دور العرض المسرحى والسينمائى ومناطق الترفيه بشكل عام.

هذه الرؤية الانغلاقية جعلت لناس أكثر محافظة مما انعكس على الذوق العام وسلوكيات الحياة.

وخلال الاسترخاء الجميل بسبب عطلة أعياد الميلاد شاهدت مجموعة الأفلام القديمة التى أعادت بالذاكرة نحو رونق القاهرة الجميلة والنظيفة بدور السينما والأفلام التى تواكب هذا الذوق المدهش المعبر عن نمط الحياة فى تلك الأيام. وعندما عثرت على فيلم «أيام وليالى» يعرض على شاشة فضائية عربية، جلست حتى مابعد منتصف الليل أشاهد عبد الحليم حافظ، إيمان، أحمد رمزى عقيلة راتب فى هذه الحكاية الرومانسية الخلابة التى بدأت بمشكلة وانتهت بالحل السعيد عندما تم هزيمة عنصر الشر وعودة مياه الحب تجرى فى نهر الحياة.

والفيلم من إخراج بركات، صاحب أجمل الأفلام الغنائية والرومانسية المصرية وينافسه فى هذا المجال ويتفوق عليه عز الدين ذو الفقار بهذا الطموح والمهارة والتألق وعندما شاهدت فيلمة الممتاز «شارع الحب» بطولة صباح وعبد الحليم حافظ، أدرك مدى إنجاز السينما المصرية فى عصرها الذهبى الرائع، بكل هذا الإنتاج المتميز والساحر.

وعندما كنت أتابع أحداث فيلم (أيام وليالى) مر بالخيال صور عن الحياة بالقاهرة على شاطئ النيل حيث نادى التجديف الذى كان دائمًا يجذب كاميرات الأفلام فقد أختاره صلاح أبو سيف عندما أخرج الوسادة الخالية لعبد الحليم حافظ ولبنى عبد العزيز. فى الفيلم الأول تبدو إيمان فى صورة الجمال القاهرى الجذاب وتظهر بثياب جميلة وذوق رفيع وكانت «الموضة» فى عام ١٩٥٥ سنة إنتاج الفيلم بالطريقة نفسها وكانت بنات أحياء العاصمة يرتدين الثياب ذاتها فى رونق بديع من الألوان والتصميمات الجميلة وقد تدهور الذوق وتراجع لكن العودة إلى مشاهدة هذا الفيلم هى الرجوع إلى صبا.

المدينة الجميلة و"عنفوانها" وحيويتها فلم تعد القاهرة حمل كل هذا العدد من السكان وكان الجمال شاغل الناس، والأناقة جذب اهتمام الجميع الآن أصبح البحث عن لقمة العيش لمجابهة ظروف الحياة والمتطلبات الاستهلاكية الجديدة.

وقد عشنا فى قاهرة جميلة بقاعات للعرض السينمائى والمسرحى والمقاهى التى كانت فى كل مكان داخل مناطق وسط البلد وأسلوب الحياة الذى كان يمزج المناخ الأوربى بأجواء مصر.

وسينما زمان تملك الآن زخم الجمال والعودة إلى أمله مرة أخرى فى ظل زحف العشوائيات والثقافة المرتبطة بها. وقد انهارت السينما المصرية عندما لاشت العوامل الى كانت تساند ازدهارها، فقد اختفى المنتج من عينة رمسيس نجيب ولم تستطع مؤسسات اقتصادية دعم السينما وعندما اختفى القطاع العام جاء سينما المقاولات وهى تعكس الحالة الاقتصادية لمجموعة من المغامرين الذين يريدون الكسب من عمل الأفلام السريعة، وتصديرها فى أشرطة الفيديو إلى الخليج.

إن إعادة بث الأفلام القديمة عبر الفضائيات تعيد الكرامة للسينما المصرية، ومستوى الحياة، والإبداع الذى انتعش خلال مشروع النهضة الذى رافق الأحلام الوطنية.. ومصر دائمًا قادرة على تجديد نفسها ومشروعها الفنى والثقافى عنوان حضارتها العظيمة.

وكان لمشاهدة أفلام مثل «شارع الحب» و«أيام وليالى» و«الشموع السوداء» وعشرات أخرى من الأعمال الجميلة أكبر الأثر فى رفع المعنويات والتعلق بقضية النهضة التى هى دائمًا عنوان الحلم المصرى البديع. ولقد أبدعت الأجيال المصرية فى تنمية نهضة السينما المصرية وهى قادرة على العودة مرة أخرى فلدى مصر الكادر التمثيلى العظيم، وكنت أشاهد مجموعة من الممثلين على شاشة مسلسل مصرى فأدرك إن بذور النهضة موجودة، وتحتاج إلى المنتج إن مشاهدة الأفلام القديمة قدرة الفنان المصرى والتقنى ومجموعة العوامل على إنتاج سينما نظيفة قوية بالأفكار والأداء الفنى وموجة الشباب الحالية أهميتها أن تعيد الاهتمام بحقبة الأيام الجميلة وقد أسعدنى الحظ لأننى شاهد هذه الأعمال وكنت فى هذا العصر، وكم هى عظيمة التكنولوجيا الحديثة التى نقلت أجواء القاهرة فى الخمسينيات إلى حى لندن خارج العاصمة الذى أقيم فيه خلال الألفية الثالثة. إن ما يفصلنى عن فيلم عبد الحليم حافظ هو سنوات طويلة لكن عندما كنت فى غرفتى بلندن شعرت بأننى عدت من جديد إلى هذا الزمن مع عبد الحليم حافظ وإيمان، وأحمد رمزى وكمال حسين وسراج منير ومحمود المليجى وعقيلة راتب لقد أعطتنى التكنولوجيا فرصة للنظر فى زمن قديم وإعادة بثه ليجرى فى زمن معاصر وداخل بقعة جغرافية تفصلها الأميال والبحار عن أرض مصر الموجودة داخل القلب بهذا الإرث والمعنى والوجود.

حديث السينما

اهتمام بمدينة القاهرة وصورتها فى الأفلام المصرية

شهدت مدينة أدنبرة، عاصمة اسكتلندا الثقافية استضافة عدة أفلام عربية تمثل إطلالة شاملة على تاريخ الفن السابع وتطوره، خصوصًا تجربة السينما المصرية التى استوعبت هذا الفن مبكرًا واستطاعت التعبير المتألق عن أوراق الحياة والواقع وملفات القصص الرومانسية.

وأدنبرة محطة فى مشوار طويل يدعمه الاتحاد الأوربى، ضمن برنامج ثقافى شامل عن السينما العربية والظروف المرتبطة بها والتجارب المثمرة لدول عربية مطلة على البحر المتوسط.

وتستقبل عدة عواصم أوربية مهرجان السينما العربية بالمدارس المختلفة مع الاحتفاء بتجارب سينما الشباب، وتقديم بانوراما متنوعة تتوقف عند التجارب التى برزت فى الجزائر. تونس، القاهرة ولبنان.

وقد تألقت فى السنوات الأخيرة محاولات سينمائية عبرت عنها أفلام يسرى نصر الله خصوصًا فيلمه الأخير «المدينة» الذى عرض خلال مهرجان لندن واستقبله النقاد باستحسان وإشادة، كذلك برز فيلم عاطف حتاتة «الأبواب المغلقة» وهو تجربته الأولى فى فن السينما.

وشاهد الجمهور فى أدنبرة نحو ١٨ فيلمًا روائيًا طويلاً من بينها «أرض الخوف» للمخرج داود عبد السيد، و«جنة الشياطين» من إخراج أسامة فوزى بالإضافة إلى أعمال من تونس مثل فيلم «بنت فاميليا» للمخرج التونسى المعروف نورى بوزيد.

وعرضت خلال هذه التظاهرة السينمائية عدة أفلام من الجزائر مثل عمل المخرج البارز الأخضر حامينا الذى يشاهد الجمهور الأوربى فيلمه المميز «رياح الأوراس» ويتضمن هذا البرنامج فقرة تحمل اسم «القاهرة» كما صورها مخرجوها الكبار الذين ارتبطوا بالمدينة وتراثها الثقافى والاجتماعى.

وتعرض هذه الفقرة ملامح العاصمة المصرية من خلال أعمال ارتبطت بالقاهرة، وسماتها الاجتماعية والفكرية ويتألق هذا السرد السينمائى فيلم «العزيمة» الذى أخرجه كمال سليم فى عام ١٩٣٩ من بطولة حسين صدقى وأنور وجدى وفاطمة رشدى، حيث تدور أحداث الفيلم حول ظروف الكساد، والبطالة بين صفوف المتعلمين فى هذا الوقت.

ويعرض المهرجان فيلم توفيق صالح المتميز «درب المهابيل» الذى أخرجه فى عام ١٩٥٥ كما تبرز القاهرة فى فيلم يوسف شاهين المتألق «باب الحديد» الذى أخرجه فى عام ١٩٥٨ ليكشف عدة وجوه للقاهرة من خلال محطة القطارات الشهيرة فى قلب العاصمة.

وتتميز هذه الفقرة بتألق ولمعان فنى، يربط السينما بالعاصمة فهى المرآة التى ينعكس عليها تطور المدينة وأوراق تاريخها، وتعرض ضمن هذا الإطار أفلام حسن الإمام المأخوذة عن عبقرى الرواية المصرية نجيب محفوظ، وقد أبدع الإمام فى تصوير «زقاق المدق» و«بين القصرين» وأصبحت أفلامه المأخوذة عن أعمال ثلاثية نجيب محفوظ من الوثائق الفنية للقاهرة القديمة بنت ثورة ١٩١٩ وانبعاث المد الوطنى الشامل فى البلاد، وتعرض الاحتفالية السينمائية فيلم عاطف سالم الجميل «خان الخليلى» المأخوذ أيضًا عن رائعة نجيب محفوظ فى مرحلته البارزة عن تصوير الأحداث الروائية داخل أحياء القاهرة القديمة وقد أبدع سالم فى إخراج رومانسية سينمائية عذبة غارقة فى أصول فن سينمائى تألق هذا الجيل فى تطبيق قواعده وأصول الحرفة السينمائية.

ويأتى فيلم صلاح أبو سيف «القاهرة ٣٠» عن رواية نجيب محفوظ «القاهرة الجديدة» وضمن هذا البرنامج الذى يعرض فى أدنبرة يشاهد الجمهور فيلم «يا دنيا يا غرامى» بطولة ليلى علوى وإخراج مجدى أحمد على وكان الفيلم قد عرض فى مهرجان لندن منذ عدة سنوات وحاز الإعجاب والإشادة وهو يقدم مدينة القاهرة فى التسعينيات عبر قص روائى، بينما قدم يوسف شاهين فيلمه التسجيلى «القاهرة منورة بأهلها» ليتابع من خلال العدسة التسجيلية تفاصيل الحياة خلال يوم كامل فى عاصمة المصريين ويشاهد جمهور أدنبرة أعمال محمد خان من خلال فيلمه «ضربة شمس» كذلك رأفت الميهى عبر شريطه الساخر «الأفوكاتو» بطولة عادل إمام. ويسهم المركز القومى للسينما فى مصر فى دعم هذا المهرجان الذى يطوف بعدة عواصم أوربية ويعرض إنتاج سينمات عربية فى دول تطل على البحر المتوسط.

وفقرة تحية إلى مدينة القاهرة عبر الأفلام التى خرجت منها تعكس علاقة العاصمة بفكر مخرجين كبار صنعوا أفلامهم حول المدينة وناسها ونمط الحياة فيها. وقد تألقت فنون السينما على أرض مصر وتلك تجربة شديدة الإثارة وتطرح نوعية الثقافة المصرية وانفتاحها وقدرته على إمتصاص أدوات الفنون وتطويعها إلى نمط الحياة المصرية.

وتأمل هذه الأفلام التى خرجت عن القاهرة يكشف إلى أى مدى برز المصريون فى صناعة مسئولة عن عصر ذهبى للفن السابع على أرض مصر، وكانت السينما أداة تعبير قادرة على عكس إيقاعات الحياة المصرية بكل زخمها وتعددها.

وتكتشف المرحلة الرومانسية تألق السينما فوق أرض النيل وستظل الذاكرة السينمائية تحوى أهم الأفلام التى جاءت من خلال أعمال محمد عبد الوهاب وليلى مراد، وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ.

إن الاحتفاء بالسينما العربية هو فى الحقيقة تذكر دور هذه الصناعة وما قامت به من ترسيخ القيم الجميلة عبر أجيال من المبدعين الكبار.

السينما المصرية الجديدة
تفوز بالإعجاب فى لندن

فتح مهرجان لندن السينمائى الأخير الذى شاهدته العاصمة البريطانية فرصة عريضة أمام أجيال من السينمائيين الشبان فى انطلاقه تعطى الثقة تجاه دفعة فنية تعيد إحياء الأمل لإنعاش تيار سينمائى جاد، يتعامل مع الواقع بصدق ومع الحرفة باحترام وتقدير.

واختار المهرجان السينمائى مجموعة متميزة من الأفلام المصرية والعربية فى تناول مختلف يعطى فرصة للتيارات الشابة والجديدة للتعبير عن نفسها.

ويعود الفضل فى هذه الفرصة إلى المثقفة العربية المطلعة روز عيسى التى تهتم بالسينما العربية، وتحاول دائمًا تسويق إنتاجها الجديد، وعرضه فى مهرجان لندن والوصول إلى اتفاقات لعرض هذه الأعمال على شاشة التليفزيون البريطانى وفى العرض التجارى عبر دور السينما المصرية.

وتقوم روز عيسى بجهد بارز يعتمد على أداء فردى متميز للغاية فى التعريف بالثقافة الفنية العربية والاهتمام بها وتقديمها إلى البريطانيين وعقد لقاءات وندوات حولها.

وقد سعت المثقفة العربية من قبل تشجيع قاعات عرض بريطانية لاستضافة أعمال لفنانين عرب فى مهمة للتعرف بهم وتقديمهم للحياة الثقافية والفنية البريطانية.

ونجحت هذه الجهود فى اكتشافات فنية مرموقة لمجموعة من الأسماء المصرية والعربية، جاءت وعرضت أعمالها فى لندن والتقت بشخصيات من داخل الساحة الثقافية والفنية البريطانية.

ومنذ سنوات وروز عيسى تقوم بهذا الجهد، الذى يستحق التنويه والتعريف به، فهى حريصة على إقامة الجسر الذى تعبر عليه الفنون والثقافة العربية إلى بريطانيا.

وخلال مهرجانات السينما فى بريطانيا كانت روز عيسى هى الأكثر اقترابًا من الهيئات المنظمة، وترشح لها الأفلام المختلفة من عدة دول عربية لتجد طريقها نحو المشاهد البريطانى الذى يهمه الاطلاع على سينما قادمة من الشرق الأوسط بتعدد الثقافة وأنماط الحياة الفنية داخله.

ومهرجان لندن دائمًا يختار مجموعة من الأفلام العربية الجديدة لإعطاء الفرصة أمام مشاهد متخصص لتعرف هذه الاتجاهات الجديدة والمعاصرة فى تيار السينما العربية.

وقد اتسمت شاشة مهرجان لندن السينمائى لأعمال المخرج المصرى يوسف شاهين الأكثر شهرة فى دوائر النقد والسينما والحياة الثقافية البريطانية. ورشح شاهين وجوده واسمه بطرق موضوعات جديدة بجرأة الفنان القادر على اقتحام المناطق الصعبة والحساسة وقد أعطى المخرج المصرى قيمة للسينما الذاتية، والتى تطرح أفكارها من خلال رؤية المخرج وثقافته والتحامه مع الحياة اليومية.

وكان مهرجان لندن دائمًا يرحب بأعمال شاهين الجديدة. وقد اختار معهد السينما البريطانى تنظيم تظاهرة كبرى لسينما شاهين تطوف بعالمه وتقف عند مراحل أفلامه من أول ابن النيل لشكرى سرحان وحتى مجموعة أفلامه الأخيرة التى بدأت مع العصفور واستمرت فى مرحلة سرد القصة الذاتية والحديث عن الظروف التى أحاطت بها خلال أحداث تاريخية واجتماعية.

وقد فتح مهرجان لندن أبوابه هذا العام أمام المخرج مجدى أحمد على فى فيلمه الجرئ والصادق «أسرار البنات» وقد جاء المخرج المصرى وتحدث بعد عرض الفيلم ودخل فى حوار طويل حول الفيلم والحكاية التى تتناول فترة المراهقة والصعوبات التى تحيط بها.

ومجدى أحمد على مخرج فنان لا يبحث سوى عن فن يعبر عنه ويتناول قضايا مرتبطة بالبيئة. وكان فيلمه السابق «يا دنيا يا غرامى» من الأفلام الجادة التى فجرت الحوار والخلاف بشأن العلاقات مع الحياة من خلال ثلاث فتيات يبحثن عن الحب والزواج والاستقرار.

ونال الفيلم السابق كل اهتمام مهرجان لندن منذ سنوات، وجاء مجدى مرة ثانية مع فيلمه الجديد فى تناول لحكاية مهمة عن موضوع الحب فى زمن المراهقة والأخطاء التى يمكن أن تحدث وتسبب المشاكل داخل الأسرة المصرية، وقد تعامل المخرج مع موضوعه بصدق ومسئولية وعدم إسفاف أو الوقوع فى الإثارة أو اللقطات الساخنة، البعيدة عن موضوع القصة. والمخرج هدفه المناقشة بعيون الكاميرا.. وكانت شجاعة من مجدى أحمد على أن يدفع السينما نحو موضوع جاد فى زمن الهلس السينمائى مع موجة الضحك وسينما العيال والموضوعات السريعة فى ثرثرة بالألوان على الشاشة.

وحاز المخرج المصرى إعجاب وتقدير جمهور بريطانى، وعربى مثقف اختار حضور ورؤية الفيلم وفتح أبواب المناقشة مع المخرج المتميز بحساسية الموضوع وصدق الكاميرا فى التعامل مع قضية بهذا العمق دون الوقوع فى تيار الإثارة أو العرى.

وقد احترم الجمهور المصرى فيلم مجدى أحمد على، وأقبل عليه لأنه يناقش قضية حساسة بأسلوب سينمائى غاية فى الرقى، والسينما يمكن لها دخول القضايا الشائكة والتعامل معها بأسلوب المثقف والفنان الذى هدفه طرح الموضوع ومناقشته وليس الإثارة والربح السريع من شباك التذاكر.

وجاء أيضًا الفيلم المصرى القصير «ليلى» من إخراج السينمائى الشاب مروان حامد فى تجربة أولى داخل عالم السينما، جاءت بهذا الطموح والتوجه فى قراءة بأسلوب السرد السينمائى والحبكة الدرامية لقصة قصيرة ليوسف إدريس أمير القصة العربية الراحل. وقد تعاملت السينما المصرية مع أعمال «إدريس» ولم يتمكن من تفسير عالمه بدقة سوى «بركات» فى فيلمه المثير جدًا «الحرام» بطولة فاتن حمامة وعبد الله غيث ومجموعة كبيرة من الممثلين الموهوبين.

وقد تعامل حسام الدين مصطفى مع «قاع المدينة» بسطحية شديدة، وفشل فيلم «العيب» رغم اعتماده على لبنى عبد العزيز لأن أعمال إدريس فيها سرعة درامية عجيبة بجانب أنه دائما يغوص فى عالم التركيب الإجتماعى للوصول إلى نتيجة تبلور النفاق أو مظاهر الخلل والغوص فى حياة الناس، ولعل قصته «النداهة» أكثر أعماله اتساعًا ورمزية فى الوقت نفسه وعندما تحولت إلى السينما بطولة «ماجدة» فقدت بريقها المثير عن عملية الإغواء والجذب الطبقى لحياة الفقراء فى قاع المدينة.

وفيلم مروان حامد قصة يوسف إدريس أكثر قربًا من عالم الأديب الراحل فى نسج صورة المفارقة بين السلوك والادعاءات. إن الكاتب الراحل كان يضع أبطاله قصصه أمام فكرة التحدى التى تختبر مجموعة من القيم يتحدث بها البطل أو البطلة، ولعل قصة «العيب» قمة هذا الطريق الفنى، عندما دخلت فتاة صغيرة مصلحة حكومية فاسدة، وأعلنت رفض الأسلوب الذى يجرى التعامل به، وفى النهاية استسلمت ومارست العيب الاجتماعى الذى كانت تنفر منه.

وبراعة إدريس فى نسج الحدث الروائى والتعامل معه بتدفق سريع فى السرد، وترتيب الأحداث للوصول إلى لحظة المواجهة والفيلم المصرى القصير يعبر عن جيل يعود لأصول مهنة السينما، وهى التفكير بالصورة والحدث الدرامى، ونال الفيلم الاعجاب الشديد.

وقد جاءت إلى مهرجان لندن السينمائى مجموعة كبيرة من الأفلام القصيرة العربية تعكس طموح الجيل الجديد الذى يتمرد على سينما تجارية تقف وراءها احتكارات المال التى تريد الرمح بلا فن على الإطلاق.

وقد أتاح لنا مهرجان لندن السينمائى رؤية نبض السينما الجديدة فى مصر عبر تجربة مجدى أحمد على، ومروان حامد، وما شاهدناه يؤكد أن البضاعة الجيدة تطرد الفن الردىء من الساحة، وأنه كلما زادت جرعة الثقافة والاستقرار تحسنت أحوال السينما المصرية التى هى مؤشر الإحساس الدقيق لدرجة رقى المجتمع، وتقدمه على درب التحديث والفهم، ومحاربة الأفكار الخاطئة عن الحياة والمجتمع.

مهرجان فى لندن
للعصر الذهبى للسينما المصرية

خصص معهد الفيلم البريطانى شهر يوليو عام ٢٠٠٣ للسينما المصرية فى أول مهرجان من نوعه لعرض مجموعة من الأفلام تمثل الحقبة الذهبية لانطلاق الفن السابع على ضفاف النيل بزخم الثقافة والفن الذى سيطر على المنطقة بالموسيقى، وحرفة التمثيل وعناق الصناعة مع تيار السينما المصرية، الذى كان وراء توحيد المنطقة وجدانيًا ورسم خريطة مشتركة لها على إيقاعات الفن المصرى البديع.

وخلال شهر كامل يشاهد البريطانيون عيون السينما المصرية والأيقونات الساطعة التى برقت على ضفاف النيل بالموهبة والإتقان والجمال والفن البديع.

وتعود هذه المبادرة إلى روز عيسى وهى مسكونة بالفن المصرى والابداع العربى وتقوم بدور بارز بتعريف الحياة البريطانية بالسينما فى مصر والعالم العربى كما أن روز لها إسهامات متميزة فى تقديم التيارات الثقافية والفنية التشكيلية المصرية والعربية للحياة البريطانية. وهى دائمًا وراء الأنشطة المرتبطة بالفن والثقافة وهى سفيرة متحمسة للإبداع العربى فى مختلف مدارسه واتجاهاته المتنوعة فى حقل الفنون المرئية وتيار الفن فى السينما والتشكيل.

ويشارك روز عيسى فى مساندة الموسم السينمائى المصرى فى لندن جينا جوف. كما تعاونت وزارة الثقافة المصرية مع تنظيم الحدث ودعمه وقام على أبو شادى الناقد المعروف ورئيس الجهاز القومى للسينما المصرية بالتعاون فى تنظيم المهرجان المتميز. كذلك ساهمت السفارة المصرية والمكتب الثقافى المصرى والمستشارة ودودة بدران.

واختارت روز وجينا مجموعة مهمة من الأفلام المصرية، وتركز الاختيار على الأعمال السينمائية الغنائية التى شهدت الرواج فى حقبة الأربعينيات والخمسينيات فى عصر تجلى فن السينما المصرية، التى كانت زهرة الإبداع المصرى، وتكاتف الصناعة مع المال والإنتاج والفن فى إخراج مئات الأفلام المصرية البديعة التى لا تزال تعيش فى خيال الناس حتى الآن.

وقصة السينما المصرية هى حكاية عصر النهضة، والطموح القومى الذى بدأ مع بداية القرن الماضى واشتداد الثقة الوطنية، وظهور طلعت حرب وافتتاح استوديو مصر وإنتاج عشرات الأفلام اللامعة فى جو من الحرية والانفتاح والتطلع إلى عصر جديد مختلف فيه قوة العزيمة والإرادة والثقة فى شخصية مصر بكل طموحها نحو الاستقلال والتحرر والبناء.

وكان المناخ الفكرى يساعد على انطلاق سينما وطنية رائدة بوجود صناعة قوية نقلت هوليوود إلى الشرق بحجم إنتاج نوعى وضخم فى كافة فروع الإبداع السينمائى، وتميزت السينما المصرية بعصر ذهبى رائد أبدع خلاله المئات من الأفلام التى تمثل رصيد قنوات فضائية مصرية وعربية الآن.

وتناولت روز عيسى وجينا جوف عدة نماذج سينمائية لعرضها على المشاهد البريطانى فى إطلالة بالغة الذكاء على صناعة السينما المصرية التى كانت تاج الفنون خلال الصعود البالغ الدلالة والنجاح الذى استمر حتى نهاية حقبة الستينيات ثم بدأت عملية العد التنازلى والتراجع مع حقبة السبعينيات حيث انهارت الصناعة بسبب الأزمة الاقتصادية وانتشار الفيديو وهيمنة بعض الأفكار المتعلقة التى تعادى السينما.

وتضم وقائع المهرجان مجموعة متميزة من الأفلام المصرية من «غرام وانتقام» إلى «صراع فى الوادى» والوقود عند «غزل البنات» و«أنت حبيبى» و«عايدة» و«نشيد الأمل» و«رابعة العدوية» حتى «شاطىء الغرام» ثم فيلم «الحرام» وبركز مهرجان لندن للسينما المصرية على الأفلام الغنائية والأخرى الميلودرامية لتقديم وجبة فنية للمشاهد البريطانى تعطى فكرة هوليوود الشرق التى كانت قائمة على شاطىء النيل فى مصر، وحشد المنظومون مجموعة كبيرة من الأفلام الغنائية غاب عنها ما قام به المطرب الراحل عبد الحليم حافظ، وكان يمكن لفيلم «شارع الحب» إخراج عز الدين ذو الفقار الدخول إلى المهرجان والتألق فيه.. وغابت أيضًا النجمة الاستعراضية الراحلة نعيمة عاكف عن الحدث، وكانت متألقة فى مجال الفن الاستعراضى، كذلك لم تتضمن القائمة وجودا لفيلم للفنان الراحل محمد فوزى، وهو صاحب العشرات من الأفلام الغنائية والاستعراضية.. وكم تمنيت أن يكون فيلم «دهب» للطفلة فيروز ضمن القائمة لإعطاء فكرة عن حجم العطاء السينمائى المصرى خلال مائة عام من الفن الجميل والمدهش.

وإقحام فيلم «الحرام» فى قائمة الميلو دراما والغنائيات لا مبرر له. بسبب انتماء الشريط إلى الواقعية السينمائية التى اعتمدت على رواية للأديب يوسف إدريس بحجم تصوير معاناة عمال التراحيل والحديث عن «الحرام» الاجتماعى قبل تناول الآخر الأخلاقى.. والفيلم فقرة متميزة فى رومانسيات «هنرى بركات» التى دعته الفنانة فاتن حمامة لإخراج هذه الدراما القوية عن الريف المصرى والصراع والسخرة قبل ثورة يوليو.

ولم يكن زكى رستم فى فيلم الحرام «الرجل الشرير» لكنه مثل دوره المسئول عن تشغيل عمال التراحيل بأداء متألق لهذا الممثل العملاق والفذ.. لذلك لم تكن هناك ضرورة لإقحام «الحرام» فى مهرجان لأفلام الميلودراما والغنائيات السينمائية المصرية.

واختار المهرجان فيلمين ليوسف شاهين الأول غنائى والآخر درامى عن الصراع فى الريف

بين الإقطاع والأفكار الجديدة وعموم الفلاحين، والتركيز على «أنت حبيبى» مع «صراع فى الوادى» يعكس الحب ليوسف شاهين داخل الدوائر السينمائية البريطانية ولدى روز عيسى شخصيًا.. وكان يمكن اختيار عينة واحدة للمخرج المعروف وإتاحة الفرصة أمام عز الدين ذو الفقار صاحب التأثير القوى على سينما مصرية تألقت على يد الإبداع لهذا المخرج العبقرى.. شديد الإيمان بالحرفة والموهبة الفنية.. واختار المهرجان فيلمين للسيدة أم كلثوم فى محبة خالصة لها، وتأكيد هيمنتها على الذوق المصرى والعربى لأحقاب طويلة.. و"نشيد الأمل" و«عايدة» من إخراج أحمد بدرخان. وكان يمكن إعطاء فرصة لغنائيات محمد عبد الوهاب لكن الموسيقار الراحل حظى بنصيبه ووجوده فى لندن عبر فيلم «غزل البنات» الذى يظهر فيه وهو يغنى عاشق الروح فى حضور نجيب الريحانى ويوسف وهبى وليلى مراد.

وفيلم «غزل البنات» الذى تم إنتاجه فى عام ١٩٤٩ يجمع نجوم السينما المصرية ويحقق طموح أنور وجدى الذى كان يهمه حشد هذه المجموعة الكبيرة فى شريط واحد يضم الريحانى مع سليمان نجيب، وعبد الوارث عسر، ومحمد عبد الوهاب وليلى مراد، فى غنائية مصرية تعكس الجمال والحب ونهضة الصناعة السينمائية بهذا الحجم البديع.

والمجتمع كان فى حالة صحة وطموح لذلك أفرز هذه المواهب العظيمة، وقد تشاهد «غزل البنات» عشرات المرات ولا تمل منه، بسبب السيناريو والأغانى والتمثيل البديع ولقطات الحوار بين الريحانى وسليمان نجيب عن اللغة العربية.

والفيلم كان حلم أنور وجدى الموهوب والحالم بسينما مصرية متألقة بالنجوم والموسيقى والفن البديع.

ويتألق فى شريط السينما المصرية فى لندن صوت المطربة أسمهان التى جاءت من الشام إلى مصر، لتصنع مجدها مع شقيقها فريد الأطرش، وكانت القاهرة عاصمة الفن مفتوحة الأبواب، والنوافذ أمام المواهب العربية. وفيلم «غرام وانتقام» هو الفترة الأخيرة فى حياة المطربة الجميلة التى رحلت فى حادث غامض لا تزال تحوطه الأسرار حتى الآن.

و«غرام وانتقام» إنتاج عام ١٩٤٤ ومن إخراج يوسف وهبى. ويضم مجموعة كبيرة من النجوم مثل أنور وجدى.

وإذا كانت ليلى مراد تظهر فى «غزل البنات» عبر قاعات معهد الفيلم البريطانى فإنها تظهر أيضًا مع حسين صدقى فى رائعة بركات «شاطئ الغرام» حيث تحية كاريوكا نجمة الرقص الشرقى، والتى كانت متألقة فى جميع أفلام السينما المصرية وعصرها الذهبى المدهش وهى فى فيلم «بركات» ليست الممثلة الأولى وإنما الثانية مع سميحة أيوب واستيفان روستى وميمى شكيب.

اعتمدت كاريوكا على الأدوار الثانية حتى انفردت بالبطولة أمام الريحانى ثم فى «شباب امرأة» قمة أعمالها السينمائية الخالدة حيث أدت دورًا مثيرًا بالفن والإتقان المدهش والموهبة المتفجرة.

ليلى مراد هى أيقونة السينما المصرية الغنائية، بصوت جميل، ويكفى متابعة فيلم «عنبر» وهذا التألق فى لوحات غنائية مدهش بالفن الجميل، الذى لا يزال يعيش ويتمتع الجماهير واختيار فيلمين لليلى مراد يعكس الحب لها، وهى فنانة تميزت بالأصالة والبساطة وحب مصر وشقيقها منير مراد أفاد السينما الغنائية المصرية بعشرات الألحان واللوحات الموسيقية وساهم مع عبد الحليم حافظ فى إبداع العشرات من الأغانى الخفيفة الجميلة. كما أن له شريطًا واحدًا عبارة عن لوحة غنائية جميلة تعكس موهبة فنان متعدد الحضور.

وقصة السينما الغنائية فى مصر طويلة وبديعة تتدرج من الاستعراض إلى أفلام كبار النجوم الغنائيين مثل: عبد الحليم حافظ، سعد عبد الوهاب، محرم فؤاد، ماهر العطار، وجسد فريد الأطرش مرحلة نجم الفيلم الاستعراضى فى قمة تألقه خلال أفلام «حبيب العمر» و«لحن حبى» غيرهما.

ثم تألق فى الأفلام الغنائية الرومانسية مثل «لحن الخلود» الذى كان بداية مرحلة جديدة تمامًا فى مشواره الفنى اختفت فيه اللوحات الراقصة لسامية جمال وليلى الجزائرية.

ودشن عبد الحليم حافظ بدايته بأفلام فيها الاستعراض مثل «لحن الوفاء» وجرب بعد ذلك الفيلم الغنائى الرومانسى مثل بدايته المبتكرة مثل «الوسادة الخالية» وكان الفيلم فاتحة لعشرات الأفلام الأخرى مثل «حكاية حب» ولكن حسين كمال فى أبى فوق الشجرة حاول العودة إلى الاستعراض فى لوحة «قاضى الشاطئ».

وتخصيص معهد الفيلم البريطانى مهرجانًا للسينما المصرية أكبر تحية لعصر الإبداع المصرى خلال الفن السابع. وقد أبدع المصريون فى صناعة سينما قوية وجميلة. وكنا خلال مراحل الشباب نهاجم هذه السينما والآن نقف أمامها فى خشوع بسبب موهبة أجيال تميزت بالعطاء والحب للفن، إن فيلمًا مثل «غزل البنات» يختزل قصة الإبداع السينمائى المصرى فقد ظل أنور وجدى يحلم به حتى تحقق حلمه فى جمع نجيب الريحانى مع عبد الوهاب وليلى مراد ويوسف وهبى فى شريط واحد، بكل هذه الأغانى واللوحات الفنية البديعة.

والعصر الذهبى للسينما المصرية يعود إلى الشاشة عبر مهرجان الفيلم البريطانى على ضفاف نهر التميز، وخلال قاعات مجمع الفنون على الضفة الجنوبية للنهر الإنجليزى الشهير إن أنور وجدى وليلى مراد مع تحية كاريوكا وفريد الأطرش وأسمهان يغنون جميعًا لحن الإبداع والموهبة، ويرسمون لوحة الفن الجميل على الأرض.

أبواب الفن التشكيلى

لوحات عن جمال مصر

يعرض «جاليرى المتحف» المتخصص فى فن الاستشراق التشكيلى، مجموعة من اللوحات ترسم الحياة المصرية ومناطق فى العالم العربى خلال القرن التاسع عشر، الذى يمثل نقطة الاكتشاف لمجموعة من الفنانين الأوروبيين، اتجهوا نحو الشرق فى حالة انجذاب للجمال والحضارة النائمة فى حضن التاريخ.

وشكل القرن التاسع عشر، بداية المعرفة بتراث الشرق والانبهار بمنطق الحياة وجمال الطبيعة ودور المرأة، الموجودة فى جميع مناحى الحياة.

وأعطت هذه الحقبة أمام الفنان الغربى، معرفة أحوال القاهرة الفاطمية والإسلامية، وقراءة حجر الحضارة المصرية وفك رموزه، وكانت هذه بداية معرفة الشرق، الذى تعود حضارته إلى آلاف السنين، فى تفاعل إنسانى، إذ إن نور الحضارة برق من الشرق واستمر لسنوات طويلة يغذى الفكر الإنسانى، والتذوق البشرى والإبداع الجمالى.

وترسم لوحات الاستشراق هذا الإنبهار بالشرق، فعندما كانت أوروبا تدخل عصر الصناعة والآلة وتذوق آلام الرأسمالية الشريرة، كان الشرق لديه أسرار الحضارة، حيث صورت لوحات المستشرقين، المساجد فى القاهرة القديمة، خصوصًا هذه اللوحة الرائعة لجامع «السلطان حسن» الذى يطل على أحياء القاهرة بشموخ الإيمان وتألق العمارة وازدهار الذوق.

وقد توجه الرسامون الغربيون من فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، وبريطانيا نحو «الشرق» للبحث عن الروح الإنسانية فى تجليات العمارة وتقاليد الحياة وكنوز الحضارة، حيث تراكمت الفصول فى كتاب واحد عنوان الشرق، وعاصمته آنذاك كانت «القاهرة» بسحرها ودمجها فى أغصان الإبداع الإنسانى فى تيار واحد.

ونقل «جاليرى المتحف» نشاطه إلى البيكاديللى وسط لندن ضمن احتفالات بطريق الحرير الذى ربط العالم العربى بالصين والتجارة مع دول العالم فى العصر القديم ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد.

ويشارك «جاليرى المتحف» في تظاهرة الشرق والغرب، وأنهما يلتقيان دائمًا، وإن عمق الحضارة الإنسانية واحد، فلا فضل لغرب على شرق، ما دام الإبداع ينسج حركة واحدة، تهتم بالتطور والإيمان وقبول رسالة بشرية هدفها الخير والنماء.

والذين يروجون لصراع الحضارات، هدفهم دائمًا إشعال الحرب بين الشرق والغرب واستمرار التناقض والمواجهة والعداء.

وتؤكد لوحات معروضة فى البيكاديللى وفى قاعة «فورتين وماسون» العلاقة بين الشرق والغرب وإن الفنان الغربى انبهر بجمال الشرق وراح يسجل مظاهر الحضارة ووجوده الجمال ونمط الحضارة السائد والذى يتميز بخصوصية تعبر عن روح «الشرق الفنان» كما أطلق عليه د. زكى نجيب محمود هذه الصفة.

وتصور اللوحات المعروضة تميز صور الشرق، وأن الفنان الغربى وقف باحترام شديد أمام أماكن العبادة وصور «الصلاة» وساحات المساجد والمآذن التى تطل على أحياء القاهرة القديمة.

وتشغل مصر، مساحة كبيرة من اهتمامات الاستشراق الغربى فى لوحات لا تزال تحتفظ بالرونق والجمال والتألق، وتدل على وثائق فنية لأحياء القاهرة القديمة، التى مازالت تحتفظ بهذه الخصوصية الشديدة حتى الآن.

وتبرز لوحات «جاليرى المتحف» انشغال الفنان الغربى بأسرار الشرق، وانه يرى فيه الوجه الآخر من العملة الحضارية الإنسانية. أى خصوصية هذا الشرق فى الإصرار على الإرث والتقاليد ونمط الحياة، المتداخل مع العقيدة الدينية. وكلمة الشرق تثير فى الذهن المعانى الروحية والدينية. وتظل هذه المنطقة محتفظة بهذا «التراث» الشديد التألف والذى يميز حياة الناس.

وتتألق فى منطقة البيكاديللى وسط لندن، لوحات عن الشرق بريشة فنانى الغرب، مما يؤكد على اللقاء، وعدم وجود هذه الحرب الحضارية.

وتأتى تظاهرة «طريق الحرير» لإعادة تأكيد رسالة إنسانية، أن محاولة اشعال الحرائق بالحديث عن غرب متقدم، وشرق متأخر، ليست إلا معركة تثير الأحقاد والخلافات وتقسم العالم إلى منطقتين لا اتصال بينهما.

وقد كانت مصر - ولا تزال - نقطة لقاء الحضارات، وعلى أرضها تبادلت الحضارة الرومانية والإغريقية والأوراق والزواج المشترك. كما أن مصر عرفت دائمًا معنى التسامح فى ظل تعدد الحضارات والثقافات والأديان . ومكتبة الإسكندرية القديمة والحديثة تعبر عن هذا العنوان المصرى الكبير.

وتبدو تجربة مصر الإنساني هى الحل فقد عاش على أرضها أغلب سكان الحضارات.

ولا تزال مدن مصر تحمل سمات التعدد والانصهار والتسامح الإنسانى، بلا تعصب أو انغلاق.

إن نوافذ مصر ظلت دائمًا مفتوحة على الهواء الطلق. وشهدت «المحروسة» بعض تحركات تعصب ضعيفة، حاولت إغلاق «نوافذ» التعدد وتحريم الفن، وتحريم الرسم والإبداع.

وتجربة مصر الحضارية أكبر من هذه الحركات التى تعانى بؤس التفكير والمنطق.

ومعرض «جاليرى المتحف» فى البيكاديللى يدل على عظمة التاريخ المصرى من جانب وتألق حياة الانفتاح من جوانب أخرى. وتطل على المشهد اللندنى لوحات من الشرق تحمل روح الجمال ورياح الإبداع وحب الفن والحياة.

ديفيد روبرتس عاشق مصر

ديفيد روبرتس، اسكتلندى أحب الشرق، جاء من إدنبره وعاش فى مصر، وذهب فى رحلة طويلة قادته إلى فلسطين والقدس فرأى المعمار الإسلامى وجذبته تقاليد الحياة فارتبط اسمه بالعالم العربى، وعندما يذكر اسمه تبرق فى الذاكرة الصور التى رسمها فى القرن التاسع عشر، والتى ترسم مصر من الشمال إلى الجنوب وتذهب إلى الأرض الفلسطينية وتعيد اكتشاف كنوز هذه المنطقة.

وكان القرن التاسع عشر اكتشاف الشرق بالنسبة لفنانين غربيين اهتموا بالمنطقة من منظور معرفى وجمالى، ومنهم من وقع فى غرام المنطقة بهذا الامتداد والتنوع والحياة المختلفة.

وكان هذا الجيل من المثقفين الغربيين مشغولاً بفكرة الآخر، فقد عرضت أوروبا نفسها وربطت تاريخها الناهض فى هذا الوقت بعصر النهضة والمرحلة الرومانية واليونانية القديمة. لقد انطلق الغرب نحو عمارة «أثينا» و«روما» ورأى أن مصادر المعرفة فى ديوان أفلاطون وأرسطو ونهج عمارة «فيدياس».

وقد استمر عصر اكتشاف الأنا الأوروبية خلال عصر النهضة فى هذا الوثوب نحو أبواب «روما» القديمة وفى اتجاه ساحات «أثينا» وإلى داخل «دلفى» وإلى حكايات «هوميروس» الأسطورية وفيرجيل، إلى الأليادة والإنيادة فى رحلة طويلة للعودة إلى الجذور الأوروبية، وغلق ملف الاضطهاد الفكرى الذى ساد بسبب سيطرة الفكر الكنسى بعد سقوط «روما» وقيام حضارة العصر الوسيط التى كانت فيها عاصمة الدولة الرومانية القديمة ترتدى قناع اللاهوت.

التراث الغربى:

وقد جاء عصر التنوير النهضوى الأوروبى، يعود إلى «روما» القديمة بزخم مختلف. وإلى آباء التراث الغربى فى حوارات أفلاطون ونظريات أرسطو عن الفن والمسرح والشعر. وقد بدأ عصر التجديد بالعودة إلى الوراء وإزاحة نهج العصر الوسيط. وإعادة إيقاعات «الفردانية» المعرفية وفتح أبواب الكنوز التراثية حيث وجد الغرب تراث اليونان موجودًا فى خزانة الفكر العربى، فقد حفظ الفلاسفة والعرب والمتكلمون كتب أرسطو وعليها الشروحات العربية.

وفكر النهضة كله يعود إلى «ابن رشد» والقراءة النشطة لإرث اليونان وتفسيرات «أفلوطين» والسباحة فى عالم الفكر، وإعادة تكوين المنطلقات المعرفية التى تقترب من عالم الروح والأشكال ونظرية المثل التى شرحها أفلاطون بعبقرية فى مقولة «الكهف» والمعرفة بالحواس أو التأمل العقلى والاستنباط.

وعندما اكتملت نهضة المعرفة بدأت بعد ذلك تيارات العصر الصناعي، الذى أعاد صوغ المدنية الفكرية على قواعد رسمت لنفسها الخطوط فى عصور التألق القديم القائم على استنباط فكر النهضة من أوراق روما وأثينا.

غير أن الوصول إلى الصناعة وفكرها كان معناه تسليم العصر إلى دورة أخرى قفزت فى اتجاه مختلف، لا يريد ملامسة المادة وإنما تطور إبداع الروح بالطريقة التى تحدث عنها هيجل بعد ذلك.

وقد تأسس حول حركة الاستشراق البحث فى حكايات «ألف ليلة» وترجمتها من قبل اللورد بيرتون، واهتمام المستشرق البارون لايتون بسوريا والعيش فيها، كما ذهبت مجموعة كاملة من مثقفى بريطانيا إلى دمشق وشرعت فى عمل ركز على الترجمة والتوثيق ونقل نموذج العمارة. وعندما عاد البارون لايتون من دمشق شيد منزله على الطراز العربى الدمشقى الذى يستلهم تراث العصر الأموى وأبعاده فى الأندلس.

وقد قامت مجموعة دمشق بقراءات فى التراث الشرقى بنظرة ليس هدفها الفهم بقدر البحث عن «الإنموذج» المختلف عن أنموذج روما وأساطيرها وحكايات اليونان وفلسفتها، لذلك رأى المثقفون فى «التصوف» الشرقى هذا الاكتشاف المذهل لهم فأهتم ماسينيون وغيره بالحلاج وترجمت الطواسين وغيرها من أعمال ارتبطت بمجموعة مناهج الداخل فى مقابل مناهج الظواهر الأوروبية التى اعتمدت على العقلانية وطرق الإستدلال العقلى والاعتماد على المنطق الصورى الذى ممهد لعلوم الرياضيات الحديثة.

كانت المجموعة الأخرى مهتمة بنسق مختلف ينمو فى الشرق منذ أحقاب طويلة وتبلور على الأرض فى نظام معمارى قام على الفكرة الإسلامية التى تأسست على عقيدة شاملة لديها هذه النظرة الأممية والعلاقة بين الإنسان والقيم والروح فى فضاء الفضيلة الإنسانية.

وعندما ذهب ديفيد روبرتس إلى الشرق فى القرن التاسع عشر كانت إدنبره عاصمة للمال والثقافة والصناعة. كما كانت تعبر عن طفرة تقنية جديدة وتزاحم فى سوق العمل وتصادم قوى بين منطق الرأسمالية الاستثمارى، والظروف التى نجمت عنها.

وقد درس المستشرق حضارة اليونان وتعلم فى مدرسة روما القديمة. إلا أن الشرق كان بداية الانقلاب فى حياته، فقد وجد فيه نظرية أخرى، وعندما شاهد آثار مصر القديمة وجد

معادلة مختلفة. إذ كانت هناك قبل الصناعة وأوروبا حضارة متكاملة فى العالم القديم تصارعت مع روما وفارس وككانت على خط الشرق وبلاد الرافدين، وشبه الجزيرة العربية.

وعندما ذهب إلى مشاهدة مسجد السلطان حسن عثر على معادلة جديدة لم يشاهدها من قبل، إذ إن هيكل المسجد يصعد إلى السماء فى أفق منتوح وباحة الجامع ممتدة، والصلاة تتم فى مواعيدها مرسخة بذلك تقاليد العبادة والطاعة والاستسلام للخالق، وهو ما يتعارض مع فكرة الصراع الموجودة فى تراث الإغريق ونقله أهل الرومان، وعاد إليه الأوروبيين.

وقد انبهر ديفيد روبرتس بسحر المكان فى عالم الشرق، ووجد أن الحضارات التى عرفتها المنطقة موجودة ولم تندثر كما شاهد الإسلام على أرض الشرق فى رؤية جديدة لم يعرفها من قبل. فأوروبا الصناعية رغم التمرد، كانت تستند إلى إرث المسيحية والكنائس المنتشرة، خصوصا فى «أدنبره» التى يمكن القول أنها تعد المتحف الأكثر ثراءًا فى موضوع العمارة الدينية.

والعمارة الإسلامية مفتوحة ،وأسلوب الزخرفة يعتمد على آيات القرآن الكريم وقد انبهر ديفيد روبرتس بها، وعكف على رسمها خلال سنوات طويلة فى رحلة اكتشاف الأنا الأخرى فى الشرق.

واهتم التشكيلى الاسكتلندى برسم كافة مظاهر لوحات التراث وأسلوب الحياة. لكنه كان مشغولا بالعمارة فى نموذجها الفرعونى والآخر الإسلامى، وعندما رحل إلى فلسطين اهتم بالآثار الموجودة فيها. لقد ترك ديفيد روبرتس هذا الإرث المتعدد حول الشرق. والتأمل فى أعماله يكشف عن الاهتمام الشديد برسم حضارة الشرق الإسلامى.

ولم يكن «روبرتس» فى بداية الأمر يدرك أهمية ما عثر عليه من عالم مختلف، لكنه مع الإبحار اليومى فى عالم الشرق وجد نفسه أمام معادلة جديدة ومختلفة وتحتفظ بهويتها المتميزة. ورأى فى رحلة الاكتشاف البديل لإدنبره وشكل الحياة فيها الملىء بالمصارف المالية والكنائس، وعالم الصناعة. وأما الشرق الذى عثر عليه فقد نمت فيه حضارات امتدت آلاف السنين، واعتمدت على نهج مختلف، تصالحت فيه الروح مع البدن، والتقت القيم فى إناء واحد مع وظائف النهضة البشرية التى تدعو إلى تنمية سلوكية لا تقوم على الصراع وإنما الاستيعاب. ولعل الاهتمام بالحلاج كان وراء هذا الاكتشاف، وهو توحد العناصر المادية والروحية. بينما يقوم فكر الغرب على مبدأ الصراع والتعارض والمجابهة والحرب بين الأضداد. إذ إن فكرة الامتزاج غير موجودة، وجذور الأفلاطونية تشير إلى التعارض بين المادة والروح.

وهذا موضوع يشغل الفكر الغربى دائمًا. أما الشرق الذى اكتشفه ديفيد روبرتس ورسمه فى لوحاته فكان يتجسد فى معادلة التكامل ونموذج جامع السلطان حسن على مشارف

القاهرة القديمة هو تعبير عن هذا النسق، حيث تتعانق قيم الروح مع هيكل المبنى ذاته والذى يؤكد وحدة النسق التى تتجلى فى العبادة والصلاة والعبارات القرآنية المنقوشة على الجدران إذ لا توجد تماثيل، كما هو الحال فى الكنائس المسيحية التى تتعدد فيها الأشكال. وعندما رسم فنانون عصر النهضة ترجمة للقصص الدينية، كانت فى أذهانهم الصورة اليونانية القديمة ثم الرومانية. أما الفكر الإسلامى والعمارة المرتبطة به فهى تعبير عن التوحيد فى عبارة «لا إله إلا الله» التى تترجم المعنى الإيمانى الإسلامى القائم على المثل والتوجيهات التى يشرحها القرآن الكريم. فالله أحد، وليس مثله شىء، ولا يمكن قياس المعرفة الإلهية بأدوات الإنسان المادية القاهرة.

لقد خلقت المعرفة الإسلامية هذا الفضاء الإيمانى الذى يعبر إلى ضفة مختلفة تمامًا فى عمق الفكر الدينى، والشروحات على هوامشه وعندما جاء ديفيد روبرتس من بيئة مختلفة وجد فى أنموذج «الجامع» هذا الشكل الذى يترجم المعانى المعمارية التى تستند على عقيدة تمثلها معادلة الداخل مع الخارج، حيث يتضافر العمل من أجل الدنيا، والعمل من أجل الآخرة: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»، بمعنى أن الموت والحياة متلازمان. ولا ينفى الموت جلال الحياة التى هى من نفح الإله وفيض كرمه وعطفه على البشرية.

وكأن ديفيد روبرتس يقف متأملاً مسجد السلطان حسن فى القاهرة القديمة. وعاد بحصيلة كبيرة من قراءة بالرسم والصورة عن فعل مختلف فى شرق لا يواجه الغرب بل يقدم معادلة مختلفة تمامًا.

هل هذا الاختلاف سببه عبارة الشاعر كبلنغ الموحية والقائلة بأن الشرق والغرب لا يلتقيان. ولماذا يتم اللقاء والحياة قامت على التنوع؟ فالأفضل أن يحتفظ كل عالم بنفسه دون الانصهار فى الآخر.

لقد كان ديفيد روبرتس القادم من الغرب يبحث فى عالم مختلف وعندما اكتشف الشرق انبهر به وعاش فى قلب هاجسه، وعندما عاد إلى «إدنبره» بعد رحلة الاكتشاف مات بعد عام من عودته وترك لنا هذا الكنز الهائل من اللوحات التى توثق لشرق التنوع والخصوصية والتفرد فى عالم الهوية الإنسانية.

السريالية فى مصر

السريالية فى مصر، كتاب توثيقى نقدى لحركة تشكيلية مصرية كانت الصدى العربى للاتجاه السريالى الذى ساد أوروبا فى الثلاثينيات والأربعينيات كحركة تمرد. ضد الكلاسيكية والواقعية..

وهذا الكتاب الذى ألفه الناقد سمير غريب، هدفه من الكتابة عن هذه الحركة السريالية، تأكيد أن مصر كانت فى الثلاثينيات والأربعينيات، أكثر انفتاحًا على الحركات الفنية العالمية منها الآن..

وهذا الهدف جوهر الكتاب فالمؤلف يريد تأكيد حقيقة أن النهضة الثقافية تختلف بسبب غلق نوافذ الاستصال مع الاتجاهات الفنية العالمية. وكتابه هو محاولة مخلصة لتجميع تراث المدرسة السريالية المصرية، بهدف تقديم مضمون حركتها لواقع ثقافى وفنى يسيطر عليه الجمود.

إن سمير غريب، أراد نقد الواقع بالبحث فى دفاتر التاريخ.. وعندما بحث ونقب عثر على مدرسة كاملة، كان لها تقاليدها الفكرية، ومجلتها واجتماعاتها، وكانت الصدى، لتيار سريالى أوروبى، كان يعبر بعنف عن رفض الكلاسيكية والجمود الفنى والسقوط فى مصيدة الواقعية.

هذه السريالية، الأوروبية، وجدت استجابة قوية لدى مجموعة من الفنانين المصريين.. وهذا الصدى المصرى لحركة تشكيلية وفكرية أوروبية يؤكد أن الواقع الفنى والثقافى المصرى، كان أكثر انفتاحًا واتصالاً مع الحركات الفنية العلامية، بشكل لا يحدث الآن..

ونلمح فى كلمات المؤلف التى يصدر بها كتابه غضبة على حالة الجمود الحالية التى يعيشها الفن التشكيلى المصرى ويقول: «أن الاتصال الفنى والثقافى، كانت من نتائجه وجود مدارس فنية وحيوية ونشاط.. وأن الانغلاق تسبب فى الجمود والكلاسيكية».

ويرى سمير غريب مؤلف كتاب «السريالية فى مصر»، إنه اكتشف من خلال البحث فى مصادر كتابه أن مصر فى الثلاثينيات والأربعينيات كانت متمردة فكريًا وثقافيًا وفنيًا لم تكن بها هيئة للطاقة الذرية، ولم تكن تصنع الصاروخ، بل كانت مستعمرة يحكمها التاج البريطانى والمندوب السامى لجلالة الملكة. ومع ذلك كما يقول سمير غريب: كانت مصر جزءًا من الحيوية والثقافية العالمية، كان كبار كتاب وفنانى العالم يحرصون على زيارتها، وكانت تربط بعضهم علاقات مع كبار كتابنا وفنانينا، كانت مصر كما يرى المؤلف تموج بحركات ثقافية حية مع

اتجاهات مختلفة. كانت تلك الحركات جزءاً من الحيوية الثقافية العالمية، مثلما كانت حركة «الفن والحرية» فى مصر جزءًا من الحركة السريالية العالمية فى نهاية عصرها الذهبى.

ويقول سمير غريب مؤلف كتاب «السريالية فى مصر»: كان بين الجماعات الفنية التى تواجدت على ساحة الحياة الفنية المصرية تنافس بناء.. بينما كان المتمردون والمجددون يتجمعون فى جماعات تقدمية مثل «الفن والحرية» كان المحافظون والكلاسيكيون من الفنانين التشكيليين يتجمعون فى «صالون القاهرة».. وبينما كانت مجلة «انيفور» تنشر رسائل من «بول فاليرى» إلى جماعة «المحاولين» كان طه حسين ينشر فى مجلة «الكاتب المصرى» رسائل من أندريه جيد.. مثلما كان جورج حنين ينشر رسائل من «اندريه بريتون» إلى السرياليين المصريين.

كتاب سمير غريب، هو بحث فى الذاكرة التشكيلية العربية.. لإنهاض تراثها، والتعامل مع مدارسها وتقييم جهدها ونشاطها...

والكتاب يعد من المحاولات الجديدة فى الكتابات النقدية التشكيلية العربية التى تهتم بتوثيق الحركات الفنية التشكيلية فى مصر.. فمن المعروف أن الاهتمام النقدى بالحركة التشكيلية المصرية ضعيف.. بسبب أن النقاد المصريين المتخصصين فى هذا المجال قليلون، ويعدون على الأصابع، لذلك جهد سمير غريب فى توثيق الاتجاه السريالى محاولة تتسم بالجهد فى توثيق ملفات الذاكرة التشكيلية العربية..

ويرى المؤلف أن السريالية عالميًا ثورة على الكلاسيكية وسجن الواقعية الكئيب. لذا شاركت بدورها فى تغيير هذا الواقع، وشكلت سلمًا ضخمًا صعدت عليه الثقافة الأوروبية فى تطورها الحالى، مثلما شاركت السريالية المصرية فى تطور الفن التشكيلى المصرى الحديث، والحركة السياسية والاجتماعية، وإن جابهتها عقبات ضخمة تتناسب مع تراث الثقافة المصرية المحمل بقيود عصر الانحطاط المملوكى فى التأثير على باقى فروع الثقافة المصرية.. مثلما جابهتها عقبات ذاتية.

ويتعرض المؤلف سمير غريب لنقص المعلومات والوثائق عن الحركة الثقافية السريالية العالمية بشكل عام.

يقول المؤلف: «إن هناك مشكلة واجهته أثناء إعداد كتابه.. فلم أجد فى المكتبة العربية - وليس فى مصر فقط - كتابًا واحدًا يتناول الحركة السريالية العالمية بالشرح والتحليل، رغم مضى حوالى ستين عامًا على نشر البيان السريالى الأول.

هذا التقييم كما يقول سمير غريب، كان من الأسباب وراء موقف عام سلبى عند بعض كتابنا ضد السريالية، ويستشهد المؤلف بقول للمفكر الفنى حامد يوسف، الذى يعرف

السريالية بطريقة غامضة فيقول عنها: إنها التعثر فى أذيال الفن عند محاولة الخروج من ظلمة الشك»!! وكان عباس محمود العقاد ضد السريالية، لأنها تشويه للذوق السليم فى الأدب والفن، وتجعل الذوق المريض هو القاعدة والهذيان هو المنطق والجنون هو العبقرية.

ويرى سمير غريب مؤلف كتاب «السريالية فى مصر» أن الحركة السريالية وقف ضدها كثيرون عن سبق إصرار وترصد، ممن هددت الحركة كيانهم ومصالحهم. فقد قامت بعض الجمعيات بحملات متعددة ضد مجلة الحركة الرئيسية «التطور» حتى إن إحدى هذه الجمعيات رفعت إلى مجلس الوزراء تقريرًا تشير فيه إلى خطورة الدعوة التى تنادى بها المجلة..

ويقول المؤلف أنه لا يدرى كيف يستطيع كاتب أن يكون ضد حركة لم يقرأها ولم يختبرها فى مصادرها الأصلية، إن أغلب المراجع السريالية الهامة غير مترجمة إلى العربية.. كتب «اندريه بريتون».. مؤسس السريالية عشرات القصص والكتب لم يترجم أيًا منها إلى العربية. وكتب أراجون وفيليب سويول وبول ايلوار وأنطوان أرتو غير مترجمة إلى العربية.

ويضيف سمير غريب الخديث عن مفارقة نقد السريالية، مع عدم توفر النصوص الرئيسية عنها بالعربية فيقول: إنه فى المجال السينمائى، أخرج لويس بونويل، فيلميه السرياليين الأولين «العصر الذهبى» و«كلب أندلسى» لم يعرضا فى مصر رغم أنه أخرجهما منذ أكثر من خمسين عامًا.. وكان لى حظ مشاهدتهما فى المكتبة السينمائية الفرنسية. بل إن الأغلبية العظمى من فناننا التشكيليين لم يشاهدوا الأعمال السريالية إلا فى الصور المطبوعة، وهى لابد مختلفة عن الأصل.. فماذا أقول عن مئات الكتب التى صدرت وتصدر بلغات العالم تبحث فى السريالية إلا فى الصور المطبوعة، وهى لابد مختلفة عن الأصل.. فماذا أقول عن مئات الكتب التى صدرت وتصدر بلغات العالم تبحث فى السريالية الجديدة فى بقاع عديدة من العالم ولا نعرف عنها شيئًا..

ويبدأ المؤلف رحيلة طويلة فى التعريف بأعلام المدرسة السريالية، التى رسخت وناضلت بالرسم والشعر والكتابة الأدبية لترسيخ مدرسة سريالية فى مصر.

يقول سمير غريب: إنه فى عام ١٩٣٧، قدم جورج حنين السريالية للجمهور المصرى فى محاضرة ألقاها فى القاهرة. وبدأ فى تنظيم الجماعة السريالية المصرية. بدأ بأصدقائه.. الشاعر دومون جابى، الصحفى إيميل سيمون، الرسامين كامل التلمسانى وأنجلو دى ريز ورمسيس يونان. ولم تمنعه الإقامة فى باريس للدراسة من الاتصال بزملائه عبر الرسائل.. وقد قرر أن يسمى جماعته - الفن والحرية - تعبيرًا عن انتمائه الفكرى، فالاسم مأخوذ عن عنوان بيان - أندريه بريتون - «نحو فن ثورى مستقل».. ومن المعروف أن هذا البيان طالب بالحرية فى

الفن، وأعفى الفنان من التصدى مباشرة للأحداث السياسية، والخضوع للشعارات..

وفى نوفمبر ١٩٣٨، أصدر جورج حنين، أول دواوينه «لا معقولية الوجود» مزينًا برسوم كامل التلمسانى، الذى وصفه جورج بـ «شهاب جعد يقتلع كل المتكسبين من المغامرة ويسقط بحركة مهملة المناظر الطبيعية، حيث يتمدد الناس راضين بالعيش»..

وفى العام نفسه، كما يقول مؤلف كتاب السريالية فى مصر، فجر رمسيس يونان، قنبلة بكتابه «غاية الرسام المصرى» ضمن مطبوعات جماعة الدعاية الفنية.

وفى ٢٢ ديسمبر ١٩٣٨، وقع ٤٠ شخصًا على البيان الجرىء «يحيا الفن المنحط» من بينهم رمسيس يونان وجورج حنين وكامل التلمسانى وفؤاد كامل، وآخرين. وكان هذا البيان احتجاجًا ضد منع هتلر للرسم الحديث بحجة أنه منحط..

وفى ٩ يناير ١٩٣٩، دخل الأصدقاء فى جماعة سريالية منظمة «جماعة الفن والحرية» وقد نشرت مجلة «التطور» فى أول أعدادها القانون الأساسى للجمعية الذى حدد أغراض الجمعية فى الدفاع عن الحرية فى مجال الفن والثقافة.. ونشر المؤلفات الحديثة وإلقاء محاضرات وكتابة خلاصات عن كبار المفكرين فى العصر الحديث وإيقاف الشباب المصرى على الحركات الأدبية والاجتماعية فى العالم.

ويحاول المؤلف التحدث عن اتصالات جماعة السرياليين فى مصر مع السرياليين فى العالم خصوصًا فى فرنسا. ويستعرض نشاط الحركة السريالية وفرسانها، والتغيرات التى طرأت على الجماعة بتحول رمسيس يونان إلى التجديد، ورحيل التلمسانى ووفاة جورج حنين فى باريس.

ومن الرسم ونظرياته يستعرض سمير غريب اتجاهات الحركة السريالية فى كتابة القصة والمقال والشعر.. والمؤلف يريد توضيح أن السريالية لم تقتصر على الفن التشكيلى فقط إنما هى رؤية عامة لكافة مظاهر الأبداع.

يقول سمير غريب، لم يكتب رمسيس يونان شكلا إبداعيًا فى الأدب. أى لم يكتب الشعر أو القصة أو الرواية.. اقتصر إبداعه على الفن التشكيلى فقط والنقد الأدبى، والترجمة، ثم المقالات السياسية. ويستطيع الباحث كما يلاحظ المؤلف أن يجد فى كتابات رمسيس يونان بسهولة تكاملاً وانسجامًا بين آرائه فى الأدب والفن والسياسية كما هو معظم السرياليين.

ويرى رمسيس يونان، أن تاريخ الأدب تياران متعارضان يوازيان الصراع الاجتماعى بين العنصر الضاغط والعنصر المضغوط.. هذان التياران هما مع بعض التحفظ، التيار الرومانتيكى والتيار الكلاسيكى، وينطلق من هذا التوضيح إلى إرجاع الأدب السريالى إلى الأصل الرومانتيكى.

ويقول مؤلف كتاب «السريالية فى مصر» عبر السرياليون المصريون عن موقف فكرى تقدمى مثلما عبروا عن موقف سياسى تقدمى أيضًا.. الصراع الحيوى لديهم هو بين القوى الرجعية، والمحافظة والقوى التقدمية، أو بين القديم والجديد.. يوضح ذلك رمسيس يونان فى افتتاحية أحد أعداد المجلة الجديدة بعنوان «فلننظر إلى الأمام»معارضًا تقسيم العالم إلى شرق وغرب، داعيًا إلى التمييز بين القديم والجديد أو بين الأساليب البائدة والأساليب الفنية فى الاجتماع والسياسة والأدب.

وكان الفن التشكيلى أبرز المجالات التى عملت فيها الحركة السريالية المصرية، فيه يختلط أبرز المجالات التى عملت فيها الحركة السريالية المصرية فيه يختلط النظرى بالعملى، أو تجد تنظيراتهم مجالاً حيًا للتطبيق، وفيه احتكاك بالجمهور والتفاعل مع ردود فعله.

التنظير نجده فى مقالات الفنانين والكتاب أعضاء الجماعة. ونجاحه فى المجالات التى أصدروها أو شاركوا فى تحريرها، مثلما نجده فى كتالوجات معارضهم.. والتطبيق نجده في المعارض الخمسة الجماعية التى أقاموها، أو فى المعارض الفردية لأعضائها..

وفى الحالتين، التنظير - أو النقد - والممارسة العملية يصطدم القراء والمشاهدين بآراء وإبداعات جديدة لا تمت بصلة لما كان يجرى من زملائهم فى أوروبا.

ويتحدث الكتاب بإسهاب شديد عن فرسان هذه الحركة، ويقدم ترجمات ذاتية لحياتهم ونشاطهم ومؤلفاتهم.. وفى نهاية الكتاب يوثق المقالات التى كتبها السرياليون.. ويسجل المعارض التى أقاموها، ويستعرض فى تفصيل شديد ملامح الحركة السريالية منذ البداية حتى النهاية، التى صنعها رحيل فرسان الحركة أمثال جورج حنين، ورمسيس يونان.

ويغيب عن الكتاب ملمح أساسى هو الرؤية النقدية، إن المؤلف محق فى أن الحركة السريالية كانت تعبيرًا عن الاتصال مع مدارس الفن فى أوروبا. لكن لم يقل لنا المؤلف أسباب عدم تأثير هذه الحركة فى تيارات الفن المصرى بشكل عام..

والسبب فى رأينا، هو أن السريالية حركة أوروبية مرتبطة بنمو وتطور الفنون فى أوروبا، بمعنى أنها جاءت بعد الكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية. لذلك فقد استوعب الفن الأوروبى لها ولرموزها، بينما الواقع المصرى رفضها، ليس بسبب ضمور ثقافته وذوقه الفنى، وإنما لعدم وجود السريالية كجزء من تطور الفن فى مصر. لذلك فقد ظلت محصورة داخل هوامش محدودة مرتبطة بالفن الأوروبى، أكثر من ارتباطها بالفن المصرى، وتطور ونمو الفن العربى.

إن كتاب سمير غريب عمل توثيقى مهم، لكن يغيب عن الرؤية النقدية الشاملة التى تربط ظهور السريالية بالظروف الفكرية والفنية فى مصر أيام الثلاثينيات.

إن غياب هذه الرؤية لم تجعلنا نعرف ظروف ظهور السريالية، وغيابها. لقد أراد المؤلف

فقط أن يتحدث عن بعث ثقافى جديد.. فتذكر السريالية.. لكن المهم أن يدرك أن هذا القياس غير سليم للحلم ببعث ثقافى حقيقى.. لأن السريالية وظهورها فى مصر كانت تعبر عن وجود شريحة رقيقة من المثقفين مرتبطة بأوروبا.. بينما عامة قطاعات المجتمع ليس لها علاقة لا بالسريالية ولا بالفن الأوروبى.

إن فن الرواية أوروبى، لكن استمراره فى واقعنا حدث بسبب هذا الإخصاب بين شكل الرواية والمضمون الذى صاغه مبدعون عرب.. بينما ظلت الاتجاهات السريالية فى مصر غريبة، لأنها غير مرتبطة بالنمو الثقافى والفنى، لذلك ماتت هذه الحركة ولم يشعر بها أحد خارج المنتمين إليها.. وجاء سمير غريب بعد سنوات من موتها ليحدثنا عنها فى محاولة لتوثيق هذه الحركة وتجميع أوراقها.

وإذا كان كتاب سمير غريب يأتى لتوثيق تاريخ فترة ثقافية وفنية فأهلا به، أما إذا كان هدفه هو تحقيق ثورة ثقافية جديدة، فإننا نقول له، أن كتابه لن يحقق هذا التحرك.. لأن الثورات الفنية، هى تراكمات لإبداعات طويلة، وعملية حفر فى الواقع، ليس له علاقة بأحياء الموت. حتى ولو كانت عملية الإحياء هذه تريد بعث السريالية للحديث عن النهضة والتطور والنمو الثقافى.

لوحات واقعية شعبية
تطل من نافذة لندن

يطل الفنان التشكيلى حسين الشرقاوى من نافذة الواقعية على الساحة اللندنية بأعمال تجسد هذا التلاحم الجميل مع صور الذاكرة ومشاهد الطفولة ولقطات الحياة. وتلتقط عين الفنان بعض المقاطع الشعبية وتقف عندها، فى رحلة تأمل الوجوه والخطوط البشرية.

وتمثل لوحات الشرقاوى إطلالة ثرية على الحياة المصرية فى صورها الشعبية. ورغم أن الفنان يعيش فى العاصمة البريطانية منذ فترة طويلة غير أن إرث التكوين لا يزال يهيمن عليه ويتحكم فى أعماله، حتى عندما صور بعض لقطات بريطانية، جاءت الصور تحمل إشارات الحياة الشعبية المصرية، وطبيعة الألوان المشرقة، وكذلك خطوط وإيقاع نهر الواقعية الذى يلازم الشرقاوى ويعايشه فى حوار مستمر.

وتمثل الواقعية، الالتحام مع الأشياء ولغة المكان وعصارة الواقع بكل رموزه والدلالات التى يمثلها. وتترجم أعمال الشرقاوى تجديد الواقعية والانتصار لها والإعلان عن قيمتها، إذ إنها قادرة على تجسيد الإيقاع الداخلى للفنان، والتعامل مع لقطات المكان وشخصيات مختلفة موجودة على الشريط الواقعى اليومى.

وقد جاء الفنان بأعماله إلى قاعة «الأهرام للفنون والثقافة» فى ظل حضور قوى لفنانين عرب وبريطانيين حيث إن الشرقاوى تمتد علاقاته الفنية مع أكثر من مدرسة وتيار.

فن البورتريه:

ويميز الفنان بجانب استغراقه فى الصور الواقعية، هذا الولع الشديد بالاقتراب من فن «البورتريه» الشخصى وتسجيله على الورق والقماش فى عدة صور متعددة، تضع الشرقاوى بجوار الفنانين الكبار المغرمين بفن رسم الصور الشخصية بكل ما يمثله هذا الإرث.. والاقتراب من عالم الوجوه الشخصية يعكس ثراء أسلوب الشرقاوى حيث يقوم برحلة طويلة ومتنوعة فى الحوار مع هذه الوجوه ورسمها بعدة أساليب مختلفة تعكس سماته وطريقته واندماجه فى عالم الثراء الذى تقدمه كل صورة عن وجه، تمثل التاريخ والانطباعات والإشارات التى يسجلها فى دفتر الرحلة الذاتية والبصمات الخاصة على عالم الورق والألوان.

والصفة الثالثة فى عالم الشرقاوى هو اهتمامه بالمكان، والحوار معه عبر مرحلتين، الأولى:

ترتبط بالذاكرة واستحضار صور الحياة المصرية، والأخرى مرتبطة برحلات إلى الموانئ والمدن الساحلية البريطانية والأوروبية.

ويبدو المعمار الخاص بلغة المكان يتجلى فى قيم تراثية تطل على مشهد عمل الشرقاوى حيث صور الحياة المصرية فى داخل الحوارى والأزقة وتشعر عندما تتأمل لوحات الشرقاوى هنا، أنها تتنفس ولديها إيقاعها، حيث تسمع أصوات الناس وضجيج الحياة اليومية بكل صخبها.

وحارة الشرقاوى يضمها الحنان الذاتى والارتباط الرومانسى، فهل تحمل كل صفات التاريخ، وعلى أرضها تسمع همس الأصوات وضجيج الحركة القادمة من إيقاع مؤثر داخلى فى قلبها.

وتبدو صور المكان الإنجليزى خاضعة أيضًا لثقافة اللون الشعبى فى لوحات الحياة المصرية التى رسمها الشرقاوى بواقعية تقترب من لغة العفوية والتسجيل الحى، بكل إيقاعات اللون ودراميته وتأثيره على العين.

وقد حول الشرقاوى المكان الإنجليزى إلى إيقاعات لونية فى عالم خاص به.. حيث رأى الخارج الأجنبى يمثل الصدى الرقيق لإبداعه الثقافى والبيئة القادم منها.

ويعيش الفنان فى لندن ويعمل بها ويغوص فى رحلة الحياة اليومية، حاملاً ألوانه وورقة يرسم الوجوه والناس وتأملات الواقع اليومى.

ورغم الرحلة اليومية والاطلاع والثقافة والقراءة وزيارة المتاحف إلا أن الفنان يعيش فى واقعه الذى تشكل منه وحدد مساره لذلك لا نرى الشرقاوى مهتمًا بالجرى وراء تقليعات غريبة لا يشعر بالانتماء إليها.

ويعيش الفنان فى لندن لكن نبضه الفنى قادم من تراثه والبيئة التى تشكل فيها، لذلك تبرز أهمية سنوات التكوين فى حياة الفنان والمثقف. وقد تلقى الشرقاوى علومه فى القاهرة وتخرج من كلياتها الفنية ورحلة الخارج ساعدت على نمو أساليب الثقافة والنظر والاستخدام التقنى، غير أن الانتماء هو إلى الشارع الحقيقى، حيث تعج الحياة بصور الناس ودلالات الواقع وأشكاله.

وقدم الفنان أكثر من معرض سواء فى لندن أو القاهرة، وكان آخر لقاء نظمه قبل معرضه الأخير هو الاحتفاء بفنه الخاص فى قاعة المكتب الثقافى المصرى بالعاصمة البريطانية.

ومعرض الشرقاوى الأخير يؤكد اتساع رقعة التأثير وزيادة الاطلاع على أفكار ومذاهب متعددة فى جوف الساحة التشكيلية غير أن الشرقاوى لا يزال مصرًا على الانتماء والإبقاء على وشائج قوية من تراثه الشعبى، والمحافظة على التزام واقعى يصحبه فى رحله الفن

والحياة بكل المكتسبات والامتصاص لاتجاهات مختلفة ثم صهرها جميعًا فى بوتقة الجمال الشعبى بكل رموزه الخاصة بها.

ومعرض الشرقاوى الأخير يمثل اطلالة قوية على خصوصية فنان لا يزال يتمسك بتراثه واصالته ويؤكد على الانتماء، والقدرة على مواجهة الاغواءات الخارجية.

وتأتى لوحات حسين الشرقاوى لتعطى الفن الواقعى زخمًا بالإضافة إلى التمسك بالتراث الشعبى، والانبهار بوجوه الناس، وصحبتهم فى رحلاتهم وأعمالهم والقيام بهذا التسجيل الجميل.

ويؤكد معرض الشرقاوى أن الواقعية الشعبية حية، وأن التمسك بالجذور الثقافية يعبر عن أصالة وحب وتميز.

ونجاح معرض الشرقاوى يجدد الثقة فى قوة هذا التيار الأصيل وأنه يملك البقاء والإستمرار، بينما الصرعات الفنية مصيرها دائمًا إلى زوال، لأنها غير أصيلة، وقادمة من بيئة أخرى ومن ثقافة مختلفة إن اللوحة السيريالية الغربية تعبر عن نمو ثقافى طويل، وهى قريبة من رموز الحركة الثقافية الغربية. أما السيريالية فى عالمنا العربى، فهى يتيمة وبلا أب ثقافى وهى بلغة أخرى «لقيطة» بينما نحن أقرب إلى الواقعية الشعبية بعمقها الشاعرى. وقد أعطى حسين الشرقاوى دفعة قوية للحن البساطة والغناء التشكيلى فى حقول الألوان والناس فاستحق هذه الحفاوة التى استقبلها بتواضع وحب بعكسان البيئة التى ينتمى إليها وحياته وسط الناس، يرسم وجوههم ويتأمل عالمهم ويحوله إلى لوحات ومعارض غنية بالحياة والصدق والواقعية.

لوحات فنية من جنوب مصر

اهتمت مصر مبكرًا بالفنون الشعبية تعبيرًا عن الأصالة، ولوحة العدد فى الحياة المصرية وإثراء الصور المختلفة التى تعبر عن الإرث والتقاليد والعلاقة مع حقائق الجغرافيا وتيار التاريخ، والتجديد المستمر دائمًا على أرض الكنانة وفى فضاء المحروسة، والاعتزاز بالإرث وتناوله فى عمل دائم للثقافة والفنون وأوراق الحياة المصرية الوارفة بالعطاء والازدهار الدائم.

والفنون الشعبية المصرية تبلورت مع الانفتاح على العصر والاهتمام بتراث البلاد وقد اهتمت مجموعة من المثقفين المصريين مبكرًا بهذا العطاء فى عمل مستمر لأكثر من نصف قرن فى رحلة تعبير الأقاليم المصرية والبيئات المختلفة عن لوحات التراث سواء عبر القصص الشعبية المختلفة التى يعيد الأدباء صوغها أو فنون الرقص الشعبى فى إحياء جميل لعناق الفن مع الموسيقى واللغة وسمات التقاليد، والعادات، وأفراح الناس والقيم التى تربوا عليها لأجيال طويلة.

ومصر فى تاريخها الطويل هى عبقرية المكان كما ذكر ذلك العلامة الراحل د. جمال حمدان فى دراسته الفريدة عن شخصية مصر وتراكم خبرات التاريخ، وثوابت الجغرافيا، وطبيعة المناخ وفصول التتابع من حقبة إلى أخرى فى تواصل يحافظ على الهوية.

وقد جاءت إلى مصر وفود غازية من الخارج لم تؤثر على مجرى النيل المصرى، وإنما العكس هو الصحيح، فقد استوعبت البيئة هؤلاء الغزاة فى أرضها، ومنحتهم صورة مصر التى انطبعت على العالم شخصيات وبشر من نهماء العالم وعلى مر التاريخ. حضروا إلى مصر يحملون السلاح ومدافع الغزو، ووجدوا أنفسهم فى حصار الحضارة المصرية التى منحتهم الكثير من التأقلم مع بيئة تعشق إضافات الحضارة وتعلى من قيم العمل والسلام فى ترتيب قنوات الرى، والاهتمام بالحقول، والبناء والتشييد، وفنون العمارة.

وتأمل خريطة مصر يترجم التنوع فى نموذج يطل على البحر المتوسط والاقتراب الشديد من هذا التاريخ الملتصق بأوروبا وجنوبها.

وكان عميد الأدب العربى الراحل د. طه حسين يدعو لربط مصر بهذه الساحة وأن مستقبلها مع أوروبا، لذلك اهتم بتدريس اللغات الأوروبية القديمة فى الجامعات المصرية.

لكن مصر. ليست مدنها وشواطئها المطلة على المتوسط، أنها أيضًا الدلتا وعمق الوادى فى الاتصال الوثيق مع أفريقيا كما أن مصر أيضًا هى رقعة الامتداد الزراعى فى تاريخ طويل مع

الأرض والناس وأنماط الحياة فى عمق سيناء وحياة البحر الأحمر، والتراث الطويل داخل مثلث آسيا، والثقافات، والمعارك التى نشبت على أرض سيناء.

وتزدهر مصر أيضًا فى مدن القناة بالتنوع والأشكال التراثية فى عمق بورسعيد. والإسماعيلية، والسويس الحاضرة فى الذاكرة المصرية بالأغانى والألحان الشعبية على إيقاعات السمسمية.

وقد أعطى الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى مساحة كبيرة من جهده الإبداعى لتصوير الملاحم الشعرية فى صعيد مصر، ومتابعتها فى توثيق ثرى للغاية لحياة الإبداع للقصص الشعرية التى تناقلت عبر أجيال واحتفظت برونقها حتى الآن.

ورؤية فرقة أسوان للفنون الشعبية فى قاعة المكتب الثقافى المصرى بلندن تعبر عن صورة بالغة لعناق العلم مع التراث فى رحلة التوثيق والمتابعة الفنية، والثقافية تجسيدًا لحضارة مصر عند البوابة الجنوبية التى تضم العشرات من فصول الإرث المصرى بالتنوع المثير والجليل أيضًا.

وعطاء الفن الشعبى المصرى هو إضافة جهد الثقافة والتعليم الذى بدأ من نصف قرن مع ازدهار عطاء الجامعات المصرية التى تخرج أجيالا من المتعلمين ينيرون الواقع بهذا التراكم البديع فى مسيرة المعرفة وإدراك صورة الوطن فى إطار نهر التعددية البليغ.

وكانت الفنون الشعبية فى مراحل مبكرة تعتمد على الفن التلقائى الذى كان يزدهر فى الأحياء، والموالد، والتجمعات المختلفة فى قلب حياة مصر.

ولابد من ذكر جهد زكريا الحجاوى المثقف المصرى الكبير الذى عاش مع هذه الملاحم وطاف مدن مصر وقراها فى البحث عن أصول الحكايات وقصص الفناء الشعبى وأساطير الحكايات المزروعة فى صدور الناس وخيالهم وذاكرتهم التلقائية.

وقد اهتمت عملية التثقيف التى جاءت مع ثورة يوليو بالعطاء الفنى الشعبى، وكان لدور فتحى رضوان الوزير السابق فى أول حكومة للثورة الاهتمام بهذا الجهد عبر نشاط ثقافى اهتم بالتراث والفن واضافة هذا النهج الجديد فى حياة كانت تتطلع إلى مصر كلها وليس لأهل القاهرة أو الإسكندرية.

ولابد من ذكر الأديب الراحل يحيى حقى وتكوين الفرق الشعبية المختلفة والاهتمام بالموسيقى ولوحات الفنون والعطاء المرتبط بهذا الجهد الذى وجد دفعة قوية من وزارات الثقافة فى مراحل مختلفة من دفتر مصر المعاصر.

وفرقة أسوان للفنون الشعبية ترجمة لكل هذا العطاء الممتد عبر فترة طويلة من التراكم، وتجسيد لوحات للحياة فى أرض النوبة، والاهتمام بنوعية الموسيقى التى تتداخل فيها إيقاعات

أفريقيا مع أنغام النيل وإضافات الطمى ،ومذاق االأرض والناس وطبيعة الحياة التى تعانى إرث الجدود فى إطلالة بالغة على التاريخ ونهر المعاصرة الرافد.

وأسوان هى التاريخ الطويل فى وجود ملاحم قديمة، وأخرى حديثة تلون كلها صورة مصر بسدها وحكاية الكفاح المرتبطة به كما أن المدينة أيضًا هى الخزان الكبير الذى يتدفق منه عطاء المدينة والكهرباء ومياه الرى وقصة طويلة عن الملحمة المصرية فى عطاء البناء وإضافات الإبداع البشرى المتميز الذى يحمل اسم مصر.

وجاءت فرقة أسوان للفنون الشعبية إلى بريطانيا ونقلت دفء النوبة وحياتها إلى حضارة الغرب الساكنة والمتحفظة وأثارت لوحات متدفقة بالنغم حى «الماى فيره الأرستقراطى الذى صفق بحرارة بالغة لأبناء الجنوب المصرى الذين حضروا بكل ألوان التراث والغناء والموسيقى والإنشاد البديع.

وهذا الوجه النوبى الجميل أطل على لندن بجمال أخاذ، وبفن بديع وبحضارة تحمل ألوان الإبداع المصرى الأصيل. وكان جميلا أن يرافق هذا الحضور معرض الصور الذى يتحدث عن أسوان الجغرافيا والنيل وتراكم صور الإبداع الحضارى فى مشوار متميز يحمل لون مصر وجمالها.

وتستطيع لمس إضافات العلم والتدريب فى المحافظة على الصورة التلقائية ونقلها للمسرح بهذه الملابس وإيقاعات الموسيقى والدراما الحية فى ضبط حركة الإبداع.

ويمكن قراءة تاريخ الجنوب المصرى عبر مشاهدة لوحات الحياة النوبية، وفى بيئة أسوان التى انتقلت بكاملها إلى «الماى فيرش» فى إبداع جمال مصرى خلال مناظر موسيقية تقوم على الرقص الإيقاعى الذى يحمل روح الجنوب.

وشدت لوحة رقصة «الأراجيد» الحضور البريطانى والعربى، فهى تعكس لغة الرقص التعبيرى وامتزاج الحركة مع الإيقاع البشرى فى حوار على إطار الأنغام والجمل الموسيقيه التى تجسد لغة التصوير التقنى البديع. أما رقصة السوق فهى «الحركة» الدائمة فى التعاطى اليومى وجرأة الفن على المحاكاة، وتحويل حياة الناس إلى لوحة تنبض بالفن والموسيقى ويدهش المشاهد من حركة التدريب لأجيال شابة صغيرة استطاعت اكتساب خبرات التاريخ الطويل، والتعبير بعطاء مدهش، وغاية فى التألق البالغ.

وحياة النوبة فى بيئة أسوان لديها أكثر من لوحة ويندهش المتابع من حجم التعدد فى قصص الحياة اليومية التى تحولت إلى لوحات تنطق بالموسيقى والغناء ويتوقف المشاهد عند رقصة الألعاب الشعبية وجمال الحركة وإبداع التعبير عن الألعاب الشعبية التى يلعبها أطفال النوبة.

ولوحة رقصة الزفة، والفرح تعبر عن ليلة الحنة، وتراثها فى التقاليد المصرية والأنغام، والأغانى المرتبطة بهذه المناسبة.

وقدمت الفرقة أكثر من عشر لوحات بعطاء جميل وايقاع مدهش لترجمة ثراء الفن الشعبى المصرى فى جميع بيئات مصر العامرة بالخير على مدار التاريخ.

ومشاهدة هذه الفرقة فى لندن تعكس مدى ازدهار هذا الفن على أرض الوادى وحقيقة الجهود العلمية التى تعمل على توثيق الألحان المرتبطة بالوجدان الشعبى، ونقلها من قلب الواقع اليومى إلى خشبة المسرح بكل ألوان الفن والتقنية وإيقاعات الإخراج المعاصر الجميل.

وقد كان مهرجان أسوان فى لندن إطلالة مدهشة على قدرة الفنون للتعبير عن نمط الحضارة والإصرار على البقاء، اعتمادًا على قوة الإرث الشعبى العاكس لروح الناس وحياتهم.

وتتولى الهيئة العامة لقصور الثقافة فى مصر مهمة نشر الثقافة الإقليمية فى جميع أنحاء البلاد، وقد كان وصول فرقة أسوان للفنون الشعبية إلى لندن من الأحداث المهمة للغاية لمشاهدة هذا الإنجاز البديع بقوة الألحان وتصميم لوحات تترجم بيئة مصرية أصيلة فى أرض أسوان التى تعبر عن وحى الجنوب وريحة الطيبة.

وأهل النوبة هم عمق مصر وأصالتها والعطاء القادم من أسوان يحمل الخير لمصر كلها، إذ يتدفق النيل حاملاً معه النبل، والهدوء، وعطاء الحياة.

لقد ترجمت لوحات فرقة أسوان للفنون الشعبية هذا العطاء الجميل الذى يمثل نغمة خاصة فى فرقة العزف المصرى، حيث تتعدد آلات العزف الإنسانى لكن الكل يؤدى مقطوعة واحدة تحمل اسم الوطن بكل جلاله وحضوره العظيم.

وكان وجود هذه االفرقة ضمن تظاهرة لحياة الجنوب المصرى فى أسوان أكبر دعاية لمصر المستقرة بهذه الديمقراطية الأصيلة داخل قلوب شعبها.